البنية السردية في قصة البحث النائم

للشاعر عثمان حلمي

إعداد

أ.د / يوسف محمد عزاز يوسف

أستاذ الأدب النقد المساعد

كلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر بالمنوفية

١٤٤٢هـ = ٢٠٢٠م

البنية السردية في قصة البخت النائم للشاعر عثمان حلمي

د/ يوسف محمد عزاز يوسف

أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية اللغة العربية بالمنوفية

الإيميل:

yousefa42@yahoo.com

ملخص البحث

يدور هذا البحث حول تطبيق المنهج السردي علىٰ القصة الشعرية ؛وذلك من خلال النظر إليها علىٰ أنها سرد قصة وخطاب في آن واحد له سماته ، فالسرد في القصة يتطلب أحداثا متسلسلة وشخوصا وازمنة معينة ، وأمكنة معروفة ، والخطاب يتطلب نسقا لغويا مختارا يؤدي في النهاية إلىٰ عمل فني له قسماته الواضحة المعالم ، وقد تحققت هذه المتطلبات الفنية في قصة "البخت النائم "التي تدور حول قضية من أخطر القضايا التي تواجه **الإنسانية وهي السعادة والشقاء ، والحظ اليقظ ، والحظ العاثر، والقضاء والقدر**

الكلمات المفتاحية : السارد ـــ المسرود له ـــ المسرود ـــ الحوار ـ الوصف

The narrative structure in The Sleeping Luck Story by Othman Helmy

Dr. Yusuf Muhamad Azzaz Yusuf

Assistant Professor in Arabic Literature and Criticism

yousefa42@yahoo.com

Abstract

This study is about applying narrative approach to a poetic story. Through using it as a narrative and speech at the same time. Although each one of them has different features. Narrative in the story demands sequential events, characters, specific tenses and familiar places. Otherwise, speech needs a selected linguistic format that leads to eventually to artistic work with clear features. These artistic demands in the story of "The Sleeping Luck" are related to one of the most serious issues facing humanity and they are happiness , misery, good and bad luck , fate and destiny.

Keywords: the narrator - narrated - narrated - dialogue - description

المقدمة

الحمد لله الذي بذكره تطمئن القلوب ، وبفضله تقضىٰ الحاجات، وتغفر الذنوب ،والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه، ومن سار علىٰ نهجه إلىٰ يوم الدين. وبعد

فإن الشعر يحمل في طياته كثيرا من الرؤىٰ التي تجعل منه نصا منفتحا علىٰ النثر الفني باشتماله علىٰ القصة التي ولدت في أحضان النثر ، والقصة الشعرية موجودة منذ العصر الجاهلي ؛لأن الحكاية موجودة منذ وجد الإنسان علىٰ ظهر الأرض "وكل نص شعري هو حكاية أي رسالة تحكي صيرورة ذات؛ لذا تعد علاقة الحكي بالشعر علاقة قديمة نسبيا، فالشاعر القديم توسل ـ فيما توسل ـ من تقنيات لعرض تجربته في ذلك الشكل الذي اقترب فيه من صيغة الحكي والإنسان بشكل عام يتحدث عن أخباره وإنجازاته اليومية ورحلاته في حكي قصص يراعىٰ فيه الترتيب الزمني أحيانا ،وعرض الشخصيات المشاركة في الأحداث "[1] وإدراكا مني لقيمة الدراسات السردية فقد آثرت أن أقوم بعمل يجمع بين القصة والشعر خلال المنهج السردي؛ ولذا جاءت هذه الدراسة تحت عنوان "البنية السردية في قصة البخت النائم للشاعر عثمان حلمي "

وأما المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج السردي الذي يدرس العلاقة بين السارد، والمسرود، والمسرود له .

وأما الخطة المتبعة في هذه الدراسة فقد جاءت على النحو التالي:

التمهيد ويتناول:

١ –ـ عثمان حلمي سيرة حياة وفن.

---

(١)آليات السرد في الشعر العربي المعاصر د / عبد الناصر هلال ط مركز الحضارة العربية ط الأولىٰ سنة ٢٠٠٦م ص٢٦ .

٢ـ الدراسات السابقة التي تناولت التقعيد لمصطلح السرد .

المبحث الأول: المدلول اللغوي للسرد ، ومفهوم السرد في النقد الغربي.

المبحث الثاني: مفهوم السرد في النقد العربي .

المبحث الثالث: العلاقة بين الشعر والقصة .

المبحث الرابع: البنية السردية في قصة البخت النائم ويشمل:

١ـ البنية الزمانية ٢ـ البنية المكانية

٣ـ الشخصيات الحكائية ٤ـ الأحداث الحكائية.

المبحث الخامس: الخطاب السردي وطرائقه ويشمل:

١ـ الوصف ٢ـ الحوار ٣ـ الراوي

وبعد فإني قد بذلت في هذا البحث جهدا ؛ ليخرج في هذه الصورة ،ويسهم في تطبيق منهج من مناهج النقد الأدبي علىٰ القصة الشعرية وهو المنهج السردي فإن أصبت فمن الله ،وإن قصرت فحسبي أني اجتهدت في تقديم رؤية من رؤىٰ البناء الفني في شعرنا العربي المعاصر.

التمهيد

عثمان حلمي سيرة حياة وفن [١٨٩٤ــ ١٩٦٢م]

المولد والنشأة :[١]"ولد عثمان حلمي في ١٨ مايو ١٨٩٤م في حي المكس غرب الإسكندرية، ونشأ بين أمواج البحر، وطواحين الهواء ، أو كما يقول في إحدىٰ قصائد ديوانه :

في المكس في ظلالها جلسنا ونحن أطفال بكل مغنىٰ
نجهل ما الدنيا وما علمنا من أمرها غير السرور يجنىٰ
نطرب من لا شيء إن طربنا ونملأ الجو إذا ضحكنا

وهناك قضىٰ صباه ثم انتقل إلىٰ حي "كفر عشري" الشعبي القديم بالإسكندرية ليعيش فيه بقية عمره، ويشب سكندري الطبع شعبي المزاج ،وتلقىٰ بمدارسها الوطنية تعليمه الابتدائي، وأمضىٰ سنتين في التعليم الثانوي ،ثم وقف عند المرحلة التي كانت تسمىٰ "شهادة الكفاءة " حين دفعته ظروف العيش إلىٰ السعي وراء الرزق ،وبدا بوظيفة" محصل(للعوايد ببلدية الإسكندرية) " ثم نقل إلىٰ "ديوان البلدية محصلا بقسم الملاك ؛ولكنه لم يستطع البقاء طويلا، وترك هذا العمل ليلتحق "بمصلحة البريد" حيث ظل موظفا حتىٰ سن التقاعد في الستين يوم ١٨من مايو ١٩٥٤م ،وكان قد وصل إلىٰ منصب "رئيس قلم الاستعلامات ببريد الإسكندرية، ولم يصب في ميدان الوظائف حظا ولا جاها ، وكان قد تزوج ولم ينجب ــ إلىٰ ما ابتلي به من مرض السكري ــ فكان لحسه

(١)أعلام من الإسكندرية تأليف نقولا يوسف ج٢ ط الهيئة العامة لقصور الثقافة نوفمبر ٢٠٠١ م ص ٣٥٩ .

المرهف كثير التبرم بحظه يشكوه إلىٰ شعره ، ويملأ الدنيا حوله شعرا وسخرية ودعابة "

وطن الشاعر:

كان عثمان حلمي يحب وطنه وظهر أثر ذلك في شعره فقد شارك شعراء عصره في مختلف المناسبات الوطنية ،وكان له فيها القدح المعلىٰ ،كما أنه "لم يبرح مسقط رأسه إلا فيما ندر متشبثا بأرضه وبحره وما بهما من مجالات الحسن ومهابط الوحي لا يجد عناء في نظم مئات الأبيات في مختلف الأغراض والموضوعات كلما توفر لديه الفراغ أو حلت المناسبات لا يتكسب منه مالا ، ولا يستدر به عطفا، وتتمخض ليلته عن قصيدة وجدانية أو ملحمة قومية أو تمثيلية تاريخية فإذا دعته المناسبة إلىٰ المشاركة في إحدىٰ الندوات والمهرجانات الأدبية والأعياد القومية وقف هناك يتلو شعره في صوت مجلجل وطلعة فخيمة .وكان آخر وقفاته علىٰ تلك المنابر قبيل وفاته بقليل في" مهرجان الشعر الرابع" بالإسكندرية في أواخر اكتوبر ١٩٦٢م يوم ألقىٰ قصيدته الوطنية في عيد الثورة العاشر ومطلعها :

يـــوم تهلـــل في ســـنا أمجـــاده دار الزمـــان وعـــاد في ميعـــاده

في كـــل عـــام مـــا اســـتهل صـــباحه إلا أهـــل الـــيمن في مـــيلاده

الشـــعب باركـــه وخلـــد ذكـــره في أخلـــد الأعيـــاد مـــن أعيـــاده

علاقته بالحركة الأدبية في عصره :

لما تكونت جماعة "أبولو" في سبتمبر عام ١٩٣٢م شارك عثمان حلمي في مجلة أبولو منذ عددها الأول " وظهر له في مجلدها السنوي عشر قصائد تحمل هذه العناوين :آية الصبح ،العمر والأماني ، سفينة العمر ، المجنونة ،بستان الصحبة ،لحد الحب ، وطن الحسن ،طاحونة الهواء ، لا أحبك ، نحن ،وأيضا

قصيدته الطويلة " البخت النائم " التي تسلسلت في ثلاثة أعداد من هذه المجلة ومسرحها وأحداثها بلاد فارس ، وموضوعها القضاء والقدر والجبر والاختيار ، والحظ والنصيب ، نظمها في أسلوب قصصي سلس منظوم"[1]

علاقة عثمان حلمي بعبد الرحمن شكري :

حرص عثمان حلمي علىٰ الالتقاء بعبد الرحمن شكري إثر عودته من "بعثته في الخارج، إذ التف حوله "شعراء الشلال " وبينهم عثمان حلمي وتتبعوا كغيرهم ما كان ينشره من شعر ونثر ، وفي حديقة الشلال كانوا يتناشدون الأشعار ويتناقشون ونظم عثمان حلمي عام ١٩١٦م قصيدة يخاطب فيها شكري ومطلعها :

ملك الشعر وسلطان الضمائر أنت أدرانا بما تطوىٰ السرائر

لك عرش في فؤادي قائم أنت ناه في زواياه وآمر

ويجيبه شكري محييا بقصيدة طويلة "منشورة في ديوانه الرابع سنة ١٩١٦م بعنوان "أغاريد شاعر" ومطلعها :

نغمات البلابل أم أغاريد شاعر

لعبت بالسرائر واستبدت بخاطري

ثم ظل عثمان حلمي وفيا لأستاذه شكري إلىٰ النهاية ، وتحدث عنه في تقدير وتكريم في محاضرة ألقاها بالحفل المقام لذكرىٰ شكري في شهر فبراير سنة ١٩٦١م بكلية الآداب بالإسكندرية ونشرها بجريدة (البصير)[2]

(١)السابق ص ٣٦٣

(٢)أعلام من الإسكندرية ص ٣٦٢ .

أعماله الأدبية :

للشاعر عثمان حلمي ديوان مطبوع تحت عنوان " نسيم السحر " صدر عام ١٩٣٦ م و له ست مسرحيات لم يطبع منها غير واحدة وهي " الظاهر برقوق "وقد ظهرت عام ١٩٦٢م قبيل وفاته بقليل والخمس الأخرىٰ هي: " ساحر بابل ،وأيام تانيس الأخيرة ، وتيمور لنك، وقاضي عسكر ، وسيدي شبل ،وأما مقالات عثمان حلمي ومحاضراته ونقداته فكثيرة ولم تجمع "[١]

وفاته :

توفي عثمان حلمي في السادس من ديسمبر سنة ١٩٦٢ م وهو في الثامنة والستين إثر عملية جراحية لم تمهله غير أسبوعين "[٢]

الدراسات السابقة التي تناولت التقعيد لمصطلح السرد :

لقد كتبت دراسات حول مصطلح السرد لتأصيله، وبيان المراحل التي مر بها ، وهو مصطلح غربي كتبت فيه العديد من المؤلفات التي توضح قسماته ، ومن تلك المؤلفات كتاب "طرائق تحليل السرد الأدبي" وقد جمع هذا الكتاب في طياته أعلام السرد في الغرب وهم كما وردوا "رولان بارت "،و"تزفيطان تودوروف"،و"جيرار جينيت "،و" ولغجانج كايزر" ،و" ميشيل رايمون "،و"أ .ج غريماس "، و"فلاديمير كريز نسكي"

وكتاب قاموس السرديات تأليف جيرالد برنس ترجمة السيد إمام ، وكتاب مورفلوجيا القصة فلاديمير بروب ترجمة د/ عبد الكريم حسن ، وكتاب معجم مصطلحات نقد الرواية د/ لطيف زيتوني ، وكتاب "خطاب الحكاية (بحث في المنهج) جيرار جينيه ترجمة محمد معتصم ، وكتاب أركان القصة تأليف أ.م

(١)السابق ص ٣٦٤ .

(٢)السابق ٣٦١ بتصرف .

فورستر ترجمة كمال عياد ،وكتاب بنية النص السردي د/ حميد لحميداني ، وكتاب آليات السرد في الشعر العربي المعاصر د/ عبد الناصر هلال ، وكتاب بنية الشكل الروائي تأليف حسن بحراوي ، وكتاب تحليل النص السردي محمد بوعزة ، وقد قرأت معظم هذه الكتب وأفدت منها في التعرف علىٰ المنهج السردي

المبحث الأول: المدلول اللغوي للسرد

جاء في لسان العرب أن السرد هو :"تقدمة شيء إلىٰ شيء تأتي به متسقا بعضه في أثر بعض متتابعا .سرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا تابعه ، وفلان يسرد الحديث سردا إذا كان جيد السياق له ، وفي صفة كلامه صلىٰ الله عليه وسلم : لم يكن يسرد الحديث سردا أي يتابعه ويستعجل فيه، وسرد القرآن تابع قراءته في حدر منه ،والسرد : المتتابع ، وسرد فلان الصوم إذا والاه وتابعه، ومنه الحديث : كان يسرد الصوم سردا ،وفي الحديث أن رجلا قال لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم :"إني أسرد الصيام في السفر فقال : "إن شئت فصم وإن شئت فأفطر"[1]وجاء في المعجم الوسيط قول العرب :"سرد الشيء سردا : ثقبه والجلد جرزه والدرع :نسجها فشك طرفي كل حلقتين وسمرهما ،وفي التنزيل العزيز: " **أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ** " [2] والشيء تابعه ووالاه يقال سرد الصوم ويقال سرد الحديث أتىٰ به علىٰ ولاء جيد السياق ...وتسرد الشيء : تتابع يقال تسارد الدر وتسرد الدمع وتسرد الماشي تابع خطاه "[3]

والمعنىٰ اللغوي للسرد يعني التتابع في عرض الشيء وهذا يتفق مع المعنىٰ الاصطلاحي في بعض نواحيه فتتابع عرض الموضوع في القصة يتفق تماما مع المعنىٰ اللغوي لكلمة السرد .

مفهوم السرد في النقد الغربي:

إن مصطلح السرد من المصطلحات التي تباينت آراء النقاد حولها وهو حاضر مع الإنسان أينما وجد "في الأسطورة، وفي الحكاية الخرافية، وفي الحكاية علىٰ

(١) ينظر مادة :"س رد" في لسان العرب لابن منظور.

(٢)الآية من سورة سبأ رقم (١١) .

(٣)ينظر مادة : "س رد " في المعجم الوسيط .

لسان الحيوانات، وفي الخرافة ،وفي الأقصوصة والملحمة، والتاريخ ،والمأساة ،والدراما، والملهاة، ... واللوحة المرسومة ...وفضلا عن ذلك فإن السرد بأشكاله اللانهائية حاضر في كل الأزمنة ،وفي كل الأمكنة، وفي كل المجتمعات ، ولا يوجد أي شعب بدون سرد "[1]وهذه الحقيقة موجودة في كل المجتمعات البشرية.

ويعرف رولان بارت السرد فيقول هو: "بمثابة تراتيبية للعناصر أو الأركان والمقتضيات، ولا يتوقف فهم السرد فقط علىٰ تتبع مجرىٰ الحكاية أو القصة واسترسالها بل يتوقف أيضا علىٰ التعرف فيها علىٰ "طوابق" وعلىٰ إسقاط التسلسلات الأفقية للخيط السردي علىٰ محور عمودي ضمنيا فقراءة سرد ما أو سماعه ليست فقط هي الانتقال من كلمة إلىٰ أخرىٰ بل هي كذلك المرور من مستوىٰ إلىٰ آخر "[2] وقد استفاد رولان بارت من النقاد الذين سبقوه في هذا الميدان إذ وجد أنهم يدورون حول فكرة واحدة ولذا قال :"نقترح أن نميز في السرد بين ثلاثة مستويات للوصف هي : مستوىٰ "الوظائف بالمعنىٰ الذي تحمله الكلمة لدىٰ بروب وبريمون، ومستوىٰ "الأفعال " بالمعنىٰ الذي تحمله الكلمة لدىٰ غريماس عندما يتحدث عن الشخصيات كعوامل، و"مستوىٰ السرد وهو يشبه إلىٰ حد ما مستوىٰ" الخطاب " لدىٰ" تودوروف" وعلينا أن نتذكر أن هذه المستويات الثلاثة ترتبط فيما بينها تبعا لصيغة إجمال متتالية فليس لوظيفة ما معنىٰ مالم تجد لها مكانا في الفعل لعامل ما ،وهذا الفعل نفسه يستمد معناه الأخير من كونه مسرودا وموكولا إلىٰ خطاب له سننه الخاص "[3]

(١)طرائق تحليل السرد الأدبي منشورات اتحاد كتاب المغرب ط الأولىٰ سنة ١٩٩٢م ص ٩.

(٢)السابق ص١٣ .

(٣)طرائق تحليل السرد ص١٤ .

ولقد جعل "تودوروف" القصة خطابا، ولذا عرف السرد بأنه" عمل أدبي وخطاب في الوقت نفسه فهناك سارد يحكي القصة ، أمامه يوجد قارئ يدركها وعلىٰ هذا المستوىٰ ليست الأحداث التي يتم نقلها هي التي تهم إنما الكيفية التي بها أطلعنا السارد علىٰ تلك الأحداث "[1]

والسرد عند "جيرار جينيت" :" عرض لحدث أو لمتوالية من الأحداث حقيقية أو خيالية بواسطة اللغة وبصفة خاصة بواسطة لغة مكتوبة "[2] ويتبين من هذا التعريف أن السرد عند "جيرار جينيت" يتطلب من السارد أن يعرض الحدث أو الأحداث متوالية يعني مترابطة ومتسلسلة تسلسلا منطقيا بواسطة لغة فنية سواء كانت الأحداث حقيقية أو خيالية .

والسرد عند (جيرالد برنس) يعد :"حدثا معقدا و(حين يكتمل أو يتطور بشكل تام)فإنه يظهر ستة عناصر أساسية بنيوية مكبرة: تجريد، وتوجيه، وحدث معقد وتقييم ،ونتيجة ،أو حل ، وأية إشارة للنهاية، وعلىٰ وجه التحديد وتبعا للنموذج البنيوي المكون من مستويين فإن السرد يحتوي علىٰ جزأين القصة، والخطاب "[3] وهذا التعريف يبين أن مكونات القصة في السرد هي الحدث المتطور والعقدة والنتيجة أو الحل ويقسم السرد إلىٰ قسمين هما : القصة والخطاب ،وهو في ذلك يتفق مع (تودوروف)علىٰ أن السرد يحتوي علىٰ القصة والخطاب.

---

(١)طرائق تحليل السرد الأدبي ص ٤١.

(٢)السابق ص ٧١ .

(٣)المصطلح السردي تأليف :جيرالد برنس ترجمة عابد خزندار مراجعة وتقديم محمد بريري ط المجلس الأعلىٰ للثقافة ط الأولىٰ سنة ٢٠٠٣م ص ١٤٦ .

المبحث الثاني: السرد في النقد العربي القديم :

لقد عرفت الذائقة العربية السرد منذ العصر الجاهلي إذ الإنسان يميل بطبعه إلىٰ الحكي ، ويسرد ما يحدث له طيلة يومه بعد ما يعود إلىٰ بيته لزوجه وأولاده أو لأصدقائه ومحبيه ، وقد عد النقاد "ابن طباطبا" من النقاد الذين كانت لهم إشارات نقدية دللت علىٰ معرفة العرب للسرد فمن ذلك قوله :"وعلىٰ الشاعر إذا اضطر إلىٰ اقتصاص خبر في شعره دبره تدبيرا يسلس له معه القول، ويطرد فيه المعنىٰ فيبني شعره علىٰ وزن يحتمل أن يحشىٰ بما يحتاج إلىٰ اقتصاصه بزيادة من الكلام يخلط به أو نقص يحذف منه، وتكون الزيادة أو النقصان يسيرين غير مخرجين لما يستعان فيه بهما، وتكون الألفاظ المزيدة غير خارجة عن جنس ما يقتضيه بل تكون مؤيدة له وزائدة في رونقه وحسنه "[1] ثم استشهد ابن طباطبا العلوي بقصيدة الأعشىٰ في خبر السموأل :

كن كالسموأل إذ طاف الهمام به ... في جحفل كسواد الليل جرار

بالأبلق الفرد من تيماء منزله ... حصن حصين وجار غير غدار

وقد ذكر هذه القصيدة كاملة ولم تكن عادته الاستشهاد بالنص كاملا والسبب في ذلك " أن القصيدة تنزع منزعا قصصيا في بنيتها فتحتاج إلىٰ التتابع والتراتب الزمني فقد اضطر "ابن طباطبا" إلىٰ ذكر القصيدة بأكملها في استشهاده فهو لا يستطيع التوقف أو الاقتضاب ؛لأنها تعتمد علىٰ الطابع السردي الذي لا يقبل الاقتطاع أو التجزئة "[2] وقد استدعت هذه الجملة النقدية التي ذكرها ابن طباطبا

(١)عيار الشعر لابن طباطبا العلوي ت عبد الستار عباس ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ص ٤٧.

(٢)آليات السرد في الشعر العربي المعاصر د / عبد الناصر هلال ط مركز الحضارة العربية ط العربية الأولىٰ ٢٠٠٦م ص ٢٨ .

فكر الدكتور/ صلاح فضل فوقف حيالها وأدام النظر فيها؛ ليستنبط منها عدة أمور هي :

"١ـ الربط بين الوزن وما يقتضيه فن القص الشعري من صيغ وأشكال.

٢ـ الاهتمام بسرد النص بأكمله والعناية بدرجة تجانسه وتماسكه.

٣ـ الاهتمام باقتصاد الكلام المتمثل في تلاؤمه مع الشخصيات والمواقف هو غير الإيجاز المطلق المعهود في البلاغة.

٤ـ مراعاة الصدق دون تفصيل واضح لطبيعة هذا الصدق ، وهل يقوم في علاقة الكلام بالقصة المسرودة فيكون صدقا فنيا ، أم بالواقع الذي ترويه فيكون من قبيل الصدق التاريخي ؟ " (١)

وكان لابن طباطبا تعليق علىٰ أبيات الأعشىٰ يفهم منه حسن تفطنه للسرد القصصي الوارد في هذه الأبيات إذ نراه يقول :" فانظر إلىٰ استواء هذا الكلام، وسهولة مخرجه وتمام معانيه ،وصدق الحكاية فيه، ووقوع كل كلمة موقعها الذي أريدت له من غير حشد مجتلب، ولا خلل شائن ، وتأمل لطف الأعشىٰ فيما حكاه واختصره في قوله :" أأقتل ابنك صبرا أو تجيء بها ، فأضمر ضمير الهاء في قوله : واختار أدراعه أن لا يسب بها ،فتلافىٰ في ذلك الخلل بهذا الشرح فاستغنىٰ سامع هذه الأبيات عن استماع القصة فيها، ولاشتمالها علىٰ الخبر كله بأوجز كلام وأبلغ حكاية وأحسن تأليف وألطف إيماءة (٢) ومن النقاد العرب الذين أشاروا إلىٰ وجود السرد في القصيدة العربية ابن رشيق القيرواني إذ نراه يقول:" ومن الناس من يستحسن الشعر مبنيا بعضه علىٰ بعض ، وأنا أستحسن

(١)بلاغة الخطاب وعلم النص د صلاح فضل ط عالم المعرفة سنة ١٩٩٢م.ص ٢٥٩.

(٢)عيار الشعر لابن طباطبا العلوي ص ٤٩.

أن يكون كل بيت قائما بنفسه لا يحتاج إلىٰ ما قبله ولا إلىٰ ما بعده ، وما سوىٰ ذلك فهو عندي تقصير إلا في مواضع معروفة مثل الحكايات وما شاكلها فإن بناء اللفظ علىٰ اللفظ أجود هنالك من جهة السرد "[1]ولو أن النقاد وقفوا أمام هذه النظرات النقدية السردية لكان عندنا نظرية في السرد تعادل ما عند الغرب حوله لكن الذائقة العربية حرصت كل الحرص علىٰ التفريق بين الشعر والنثر الفني خلال الأسس النقدية الفارقة بين هذين الجنسين منذ امرئ القيس وحتىٰ اليوم ولم تخل القصيدة العربية من حكاية يحرص المبدع علىٰ إذاعتها بطريقة منطقية في أسلوب يجمع بين عناصر الشعر والنثر، وهذا ما دعا النقاد في العصر الحديث إلىٰ معاودة النظر في تراثنا الإبداعي ،والوقوف أمام ظاهرة السرد ؛لاستجلائها وبيان عناصرها ومكوناتها السردية، وتجلىٰ ذلك في هذه الدراسات "النص السردي عند الحطيئة وعمرو بن الأهتم دراسة تحليلية سيميائية إعداد الطالبة راضية لرقم ، و"الفعل السردي في الخطاب الشعري قراءة في مطولة لبيد "للدكتور أحمد مداس " ، "وتجليات السرد في القصيدة الجاهلية إعداد الطالب بوتيوتة عبد المالك ، وملامح السرد في النص الشعري القديم من خلال المفضليات إعداد الطالب عمر بوفاس ، وغير ذلك من الدراسات التي تناولت الإبداع الشعري القديم ،والذي ساعد الباحثين علىٰ تقديم مثل هذه الدراسات، وربط الشعر بالسرد هو اشتمال هذا الشعر علىٰ قصة شعرية، ومعلوم أن القصة ترد في الشعر كثيرا وقد لا ترد والشاعر العربي لم يكن بمعزل عن أمته العربية بل كان لسان القبيلة في أفراحها وأتراحها وكانت له قصص يود حكايتها داخل قصيدته فحياة الجاهليين بما فيها من صراعات وحروب شكلت العديد من

(١)العمدة لابن رشيق القيرواني ت محمد محيي الدين عبد الحميد ط دار الجيل ج١ ص ٢٦١.

القصص وأضف إلىٰ ذلك قصص الحب والغرام التي كان لها صدىٰ بعيد الأثر في حياة الجاهليين وبذلك تبدو ملامح القصة في شعرنا القديم لدىٰ الشعراء الذين يصورون مغامراتهم أو يحكون الحوادث التي جرت لهم في صورة قصص شعري له سماته التي تميزه .

مفهوم السرد في النقد العربي الحديث:

كان للنقاد العرب في العصر الحديث مشاركة عظيمة في تقنين مفهوم السرد ، وقد تباينت وجهات النظر حول هذا المصطلح ولذا جاء مفهوم السرد عند حميد لحميداني :"أن الحكي يقوم علىٰ دعامتين أساسيتين أوليهما :أن يحتوي علىٰ قصة ما تضم أحداثا معينة ، وثانيتهما :أن يعين الطريقة التي تحكىٰ بها تلك القصة وتسمىٰ هذه الطريقة سردا ذلك أن قصة واحدة يمكن أن تحكىٰ بطرق متعددة ،ولهذا فإن السرد هو الذي يعتمد عليه في تمييز أنماط الحكي بشكل أساسي[1] وقد حدد ثلاث قنوات تمر الرواية والقصة من خلالها وهي :الراوي ،والقصة ،والمروي له .ويرىٰ (ميجان الرويلي) أن السرد هو:" دراسة القص واستنباط الأسس التي يقوم عليها وما يتعلق بذلك من نظم تحكم إنتاجه وتلقيه"[2] والسرد عند سحر شبيب هو:" نظام لغوي خاص يحمل حادثة أو سلسلة من الحوادث المتوفرة أساسا في (حكاية المتن)وتؤديها شخوص في أزمنة محددة وأمكنة معينة يقوم السرد بإنتاجها فنيا علىٰ سبيل التخييل ثم يعمل الخطاب السردي بوصفه فنا نثريا علىٰ تنظيم هذه المحمولات في نسق لغوي

(١)بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي د / حميد لحميداني ط المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع ط الأولىٰ :آب ١٩٩٩م ص ٤٥.

(٢)دليل الناقد الأدبي ميجان الرويلي وسعد الباز ط المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب سنة ٢٠٠٢ م ص ١٧٤ .

فيكسبها شكلا فنيا منتظما في علاقات مبنية علىٰ قواعد تربط أبنيتها الداخلية بالأبنية اللغوية لتشكيل كتلة فنية هي النص الروائي "[1] ومما سبق ندرك أن السرد يجمع بين القصة والخطاب، والقصة تعتمد علىٰ اللغة الفنية التي تعرض أحداثها بطريقة متسلسلة كل جزء يسلم إلىٰ غيره حتىٰ نصل إلىٰ العقدة التي يليها الحل أو النهاية، والخطاب يعني وجود سارد ومسرود له وسرد، وسوف أقوم بدراسة العلاقة بين السارد والمسرود له والسرد لأن البنية السردية تنحصر في البنية الزمانية والمكانية والشخصيات الحكائية والأحداث الحكائية وأما الخطاب السردي فقد جاء في ثلاثة طرق وهي : الوصف والحوار والراوي وهذا ما تعول عليه هذه الدراسة في الصفحات القادمة .

(١)البنية السردية والخطاب السردي في الرواية سحر شبيب ط مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها السنة الرابعة العدد الرابع عشر ص ١١١ .

المبحث الثالث العلاقة بين الشعر والقصة:

عندما أقول القصة الشعرية فإنني أجمع بين لونين من فنون القول وهما القصة والشعر وكل واحد منهما له خصائص تميزه عن الآخر ولذا فإنني مضطر إلىٰ إبراز العلاقة الحميمة بين هذين اللونين من الأدب وأبدأ ببيان مفهوم القصة فهي:" مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب ،وهي تتناول حادثة أو عدة حوادث تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة علىٰ غرار ما تتباين حياة الناس علىٰ وجه الأرض "[1] وهي شكل من أشكال التعبير تتبلور فيه أذكىٰ نفحات المشاعر وتتجلىٰ فيه شتىٰ أنواع النوازع والعواطف من إنسانية وقومية وتاريخية ووجدانية من خلال حادثة معينة بأسلوب يستحوذ علىٰ القارئ ويثير انتباهه فيتابعها بشغف ولذة ويسر حتىٰ تتأزم المواقف فيها فتصل إلىٰ ذروة التعقد فيتطلع عندئذ إلىٰ حلها أو نهايتها "[2] والقصة تتناول تجربة من التجارب الإنسانية التي خالطت نفس الأديب فصورها في ثوب قصصي له أثره البارز في المتلقي ، والشعر كذلك تجربة عاشها الشاعر وخامرت مشاعره وتجاوبت أصداء نفسه معها فصاغها صياغة شعرية واللغة هي الأداة التي تحتضن الفنون كلها بما فيها من شعر ونثر والقصة الشعرية "هي قصة نثرية لكنها تستعين بقدر من الشاعرية في الأسلوب والتأنق في استخدام العبارة

(١)فن القصة تأليف الدكتور محمد يوسف نجم ط دار بيروت للطباعة والنشر ببيروت سنة ١٩٥٥م ص ٧.

(٢)القصة الشعرية في العصر الحديث عزيزة مريدن ط دار الفكر دمشق سوريا ط الأولىٰ سنة ١٩٨٤م ص ١٣نقلا عن "ملامح السرد في النص الشعري القديم من خلال "المفضليات"(رسالة ماجستير إعداد عمر بوفاس إشراف الأستاذ الدكتور عبد السلام صحراوي ص ٤٦ .

سردا وحوارا وعلىٰ هذا فإنها قصة تدخل في إطار ما كان يسمىٰ في أدبنا القديم "النثر الفني" إن فنون القص تنضوي ــ بالضرورة ــ داخل فنون القول، والقول الأدبي ينبغي أن يعتمد علىٰ لغة فنية تراعي عناصر البلاغة، وتعتمد علىٰ تدفق المخيلة "[1] والشعر القصصي هو:" الذي يذكر الوقائع والحوادث في ثوب قصة تساق مقدماتها ، وتقص حالاتها ، ومناظرها ، وينطق أشخاصها الذين يترابطون بنسبة دورهم فيها "[2] والشعر حين يستعين بالقص إطارا لبعض نماذجه فإن ذلك لا يعني تماثل نسق البناء القصصي في مجالي الشعر والنثر ، وإنما يأتي ذلك في الشعر الغنائي من أجل إضفاء مزيد من الحيوية والخصوبة الفنية علىٰ النص الشعري "[3]

والقصة الشعرية " تجمع بين شكلين لكل منهما أهمية كبرىٰ في الأدب ،وإذا كان الشعر يصور جانب الحياة نفسها ودقائقها ولحظاتها ، فإن القصة الشعرية تجمع بين هاتين الصورتين ، وتجعلنا نحيا التجربة النفسية الواحدة في نطاق أوسع وأفق أرحب " [4] ومجيء القصة في ثوب شعري يعني لغة فنية مختارة، ومجازا لغويا يبحر في عالم الخيال الشعري، وموسيقا خارجية وداخلية

(١)جماليات القصيدة المعاصرة د/ طه وادي ط الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ط الأولىٰ سنة ٢٠٠٠م ص ٢٨٠.

(٢)دراسات في الأدب الجاهلي والإسلامي د/ محمد عبد المنعم خفاجي ط دار الجيل بيروت سنة ١٩٩٢م ص ٩٠.

(٣)جماليات القصيدة المعاصرة ص ٢٩٢ .

(٤)القصة الشعرية في العصر الحديث عزيزة مريدن ص ٢٣ نقلا عن النص السردي عند الحطيئة وعمرو بن الأهتم دراسة سيميائية (رسالة ماجستير)إعداد الطالبة راضية لرقم إشراف الدكتور محمد بن زاوي سنة ٢٠٠٨،٢٠٠٩ص ١٠ .

تأخذ بالألباب إلىٰ عالم مليء بالعواطف الفياضة ، وذلك يسهم في عرض القصة في ثوب بهي يأخذ بمجامع القلوب ليحقق لها المتعة الفنية من مجاليها الشعر والنثر.

ملخص لقصة البخت النائم :

تتلخص قصة البخت النائم في "أن أخوين ورثا من أبيهما نصيبين متساويين أرضا زراعية ثم أخذ كل يستغل مزرعته فأفلح أحدهما حيث أخفق الآخر ، ومن ثم حسد هذا أخاه وتمادىٰ به الحقد حتىٰ فكر في اغتياله غير أن طيف الأب تراءىٰ له وتحدث إليه فنزع من رأسه نية الاغتيال ولكنه لم يستل الضغينة من قلبه فاعتزم السطو علىٰ جنة أخيه عساه أن ينال من شجرها وثمرها وزهرها منالا يفثأ غيظه ويروح علىٰ كيده حتىٰ إذا هم بانتقامه انبرىٰ له "بخت أخيه " ماثلا لديه في إهاب حارس قام بباب تلك الجنة يذود عنها شرة كل عاد في غلة ربها الوادع في هناءته المطمئن في رخائه .وتحدث البخت إلىٰ يحيىٰ فألقىٰ في روعه أن يقظته هي سر نجاح أخيه أما بخته هو فنائم في قفر سحيق فإذا أراد أن يحاكي أخاه فلاحا وسعادة فما عليه إلا أن يوقظ ذلك النائم من سباته بعد أن يجتاز ما بينهما من صعاب وعقبات فالمسألة هنا هي كما ترىٰ مسألة حظ صاح وآخر نائم أو هي مسألة قضاء وقدر لا دخل فيه لكفاية ولا لاختيار .ومضىٰ يحيىٰ يجتاز الأمصار ويجوب الفيافي والقفار، وكما نجا قبله أبطال القصص من الفرسان والشطار، فكذلك نجىٰ يحيىٰ من كل ما اعترض طريقه من الأهوال والأخطار، نجا من الأسد لا يروىٰ من ظمأ، ولا يشبع من جوع ، ونجا من قاطع الطريق صاحب الكنز الدفين ، ونجا من الملك لم يسعده الملك ولا أفاء عليه أمنا أو هناءة، نجا وهو منهم علىٰ موعد لقاء يدلي لكل فيه بما أفتىٰ "البخت " من جواب مسألة أو طب لداء ، وأخذ يحي السير حتىٰ بلغ مداه فإذا هو علىٰ رأس

نائم يغط في نومه العميق فلما أيقظه أسر إليه هذا أنه هو بخته فأخذ يحيىٰ يناجيه بآلامه وآماله ، فهدأ البخت روعه، وأفتاه فيما سأله ووعده بالسعادة والهناء ، وعاد صاحبنا أدراجه يحتث الخطىٰ نحو بلاده وقد استطار الفرح لبه وركبه شيطان الطمع والغرور فلما التقىٰ بالملك وأطلعه علىٰ سر قلقه وشقائه عرض هذا عليه أن يشاطره ملكه فأبىٰ واستكبر ، ومضىٰ حتىٰ إذا التقىٰ بقاطع الطرق أعرض كذلك عن كنزه، وكل ما حوىٰ من أموال ونفائس غوال، وهكذا أضاع الفرصة، ولم يبق بدُ من أن ينقلب حظه عليه غصة فما هو إلا أن وقع علىٰ الأسد، وعلم هذا من ضلاله، ومن فساد رأيه ما علم حتىٰ وقع عليه الأسد يفري لحمه فريا، ويطحن عظمه طحنا ، ويطويه في الهالكين "[1]

(١)مجلة أبولو المجلد الأول تقديم محمد أبو العز للقصيدة ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٩م ص ٨٨٨.

المبحث الرابع : البنية السردية في قصة البخت النائم:

البنية الزمانية :

إن الزمن يعد عنصرا أساسيا في بنية القصة لأن أي حدث مرتبط بزمن خاص ، إذ يدفع الشخصيات إلىٰ التحرك داخل الأحداث وتغيير مجراها وقد بين أحد النقاد أهمية الحديث عن الزمن في القص الشعري فقال:" إن الزمن محوري وعليه تترتب عناصر التشويق والإيقاع والاستمرار ثم إنه يحدد في نفس الوقت دوافع أخرىٰ محركة مثل السببية والتتابع واختيار الأحداث ...والزمن حقيقة مجردة سائلة لا تظهر إلا من خلال مفعولها علىٰ العناصر الأخرىٰ .الزمن هو القصة وهي تتشكل وهو الإيقاع "[1] وقد فرق النقاد بين زمن السرد وزمن القصة " فزمن القصة يخضع بالضرورة للتتابع المنطقي للأحداث بينما لا يتقيد زمن السرد بهذا التتابع المنطقي ويمكن التمييز هنا بين الزمنين علىٰ الشكل التالي : لو افترضنا أن قصة ما تحتوي علىٰ مراحل حداثية متتابعة منطقيا علىٰ الشكل التالي:

أ ـــــــــ ب ـــــــــ ج ـــــــــ د

فإن سرد هذه الأحداث في رواية ما يمكن أن يتخذ الشكل التالي :

ج ـــــــــ د ـــــــــ ب ـــــــــ أ

وهكذا يحدث ما يسمىٰ "مفارقة زمن السرد مع زمن القصة " [2] ويوضح هذه الفكرة (تودوروف) مبينا " عدم التشابه بين زمنية القصة وبين زمنية الخطاب فزمن الخطاب هو بمعنىٰ من المعاني خطي في حين أن زمن القصة هو زمن متعدد الأبعاد ففي القصة يمكن لأحداث كثيرة أن تجري في آن واحد لكن

(١)بناء الرواية د سيزا قاسم ط مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٤م ص ٣٨.

(٢)بنية النص السردي حميد لحميداني ص ٧٣ .

الخطاب ملزم أن يرتبها ترتيبا متتاليا يأتي الواحد منها بعد الآخر وكأن الأمر يتعلق بإسقاط شكل هندسي معقد علىٰ خط مستقيم من هنا تأتي ضرورة إيقاف التتالي الطبيعي للأحداث حتىٰ وإن أراد المؤلف اتباعه عن قرب غير أن ما يحصل في أغلب الأحيان هو أن المؤلف لا يحاول الرجوع إلىٰ هذا التتالي الطبيعي لكونه يستخدم التحريف الزماني لأغراض جمالية "[1] ومما سبق يتبين لي أن النقاد ميزوا بين زمنين للقصة وهما الزمن الذي وقعت الأحداث فيه ويأتي متتابعا تتابعا منطقيا للأحداث التي وقعت، وزمن السرد وللسارد فيه أن يعرض القصة من خلال ما يتراءىٰ له فقد يبدل ويغير ويقدم بعض الأحداث حسب وجهة نظره ومن هنا تتداخل أزمنة القصة من وجهة نظر السارد، وستضح هذه النقاط في أثناء تحليلي للقصة من خلال الزمن .

وقد بدأ الشاعر قصته بتمهيد يسمىٰ عند "السرديين" استباق تمهيدي يبرز من خلاله اختلاف الحظوظ بين الناس والاستباق هو " مفارقة زمنية سردية يتجه إلىٰ الأمام بعكس الاسترجاع ، والاستباق تصوير مستقبلي لحدث سردي سيأتي مفصلا فيما بعد إذ يقوم الراوي باستباق الحدث الرئيسي في السرد بأحداث أولية تمهد للآتي وتومئ للقارئ بالتنبؤ واستشراف ما يمكن حدوثه أو يشير الراوي بإشارة زمنية أولية تعلن صراحة عن حدث ما سوف يقع في السرد "[2] ويعد حسن بحراوي الاستباق هو :" القفز علىٰ فترة ما من زمن القصة وتجاوز النقطة التي وصلها الخطاب لاستشراق مستقبل الأحداث والتطلع إلىٰ ما سيحصل من

(١)طرائق تحليل السرد الأدبي ص ٥٥ .

(٢)الزمن في الرواية العربية [١٩٦٠ـ ٢٠٠٠م] إعداد مها حسن يوسف عوض الله إشراف محمود السمرة أطروحة (دكتوراه)الجامعة الأردنية ٢٠٠٢م ص ٢٠٧ .

مستجدات في الرواية "[1] ويأتي الاستباق التمهيدي في قصة (البخت النائم)في صورة تمهيد ليقرر حقيقة اختلاف الحظوظ بين الناس ، ويثبت عجز الإنسان عن تغيير مسار حظه الذي خطه القلم وفي ذلك يقول السارد:

كانت الدنيا التي نحيا بها والتي نمرح في أحزانها
والتي ندخل من أبوابها دون أن نجفل من سلطانها
والتي نجهل من أسبابها كل ما يدعو إلىٰ إحسانها
والتي تسخر من طلابها والتي قامت علىٰ ميزانها
رسل للغيب من صنع القدم
كانت الدنيا ولا زالت قسم
مر قابيل ومرت بعده أمم في الأرض من أمثاله
كلها ينشد فيها سعده ويرجىٰ الخير في أعماله
كم سعىٰ الإنسان فيها جهده وتمنىٰ النجح في آماله
ثم يأبىٰ الحظ إلىٰ رده رغم ما يبذل في إبداله
كانت الدنيا ولا زالت قسم
وحظوظ الناس من خط القلم[2]

واستعراض السارد لحقبة زمنية سابقة علىٰ زمن القصة يعد من قبيل "الاستباق كإعلان" إذ يعلن السارد المسرود له بأمر بطل القصة وما يؤول إليه

(١)بنية الشكل الروائي تأليف حسن بحراوي ط المركز الثقافي العربي ط الأولىٰ سنة ١٩٩٠م ص ١٣٢م.

(٢)مجلة أبولو المجلد الأول ط الهيئة المصرية العامة للكتاب قصيدة البخت النائم عثمان حلمي ص ٨٩٠.

ولذا يذكره بقابيل الذي لم يرض بما قسمه الله له فقتل أخاه وكان ذلك سبب هلاكه .

وقد يلجأ السارد إلىٰ عنصر الخلاصة "وهي سرد أحداث ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات أو أشهر ويختزلها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرض للتفاصيل "[1]ومن ذلك قول الشاعر:

ومضىٰ بالولدين الزمن وهما بين كفاح وجهاد
ونتاج الأرض هذا ثمن للذي قد بدل وقت الحصاد
وهو إما سيء أو حسن ربما جاءهما لا كالمراد
ومن الروض جواد محسن ومن الأرض حري بالفساد
يتجلىٰ الحظ ما بين العباد
لا بكد لهمو أو باجتهاد

فقد سرع السارد الزمن وذلك في قوله :" ومضىٰ بالولدين الزمن" وهذا يعني أن بطل القصة (يحيىٰ) قد اجتهد في زرع حقله سنوات عديدة ؛ولكن حظه عاثر فلم يجن من كفاحه إلا البوار والخسران ، ولم ينجح في عمله علىٰ الرغم من كونه كرر المحاولة عدة مرات ، وفي الطرف المقابل أجد أن (جعفرا) قد جنىٰ من حقله زرعا خصيبا وثمرا عظيما فنما ماله وزاد خيره .

ويقارن السارد بين يحيىٰ وأخيه مختصرا الزمن في قوله :

عاودا الزرع فهذا ظافر أينما يسعىٰ وهذا خاسر
أمل ناء وحظ عاثر وفؤاد ضل عنه الناصر
وإذا الظافر بشر ظاهر وفؤاد بالأماني عامر

(١)بنية النص السردي ص ٧٦.

كلمـــا لاح لأمـــر خـــاطر منـــه في الـــدنيا فســـعد حاضـــر
أمـــــــل دان وعـــــــيش ناضـــــــر
وأميـــــــر أيـــــــن ولـــــــىٰ آمـــــــر

ويلجأ السارد إلىٰ الوصف ليوقف مسار الزمن والاستراحة " تكون في مسار السرد الروائي توقفات معينة يحدثها الراوي بسبب لجوئه إلىٰ الوصف يقتضي عادة انقطاع الصيرورة الزمنية ويعطل حركتها "[1] ومن ذلك قول الشاعر:

فـــإذا مـــا اختلـــت في جنتـــه خلتهـــا الفـــردوس مـــن فـــيض الثمـــر
وإذا أبصـــرت مـــن غرتـــه خلتهـــا مـــن فرحـــة نـــور القمـــر
يبعـــث البهجـــة مـــن بهجتـــه أينمـــا ولـــىٰ وأيـــان حضـــر
وافـــر الإجـــلال في عيشـــته مســـتحب القـــول محبـــوب الســـمر
هكـــــذا الحـــــظ إذا أعطـــــىٰ غمـــــر
وإذا أدبـــــر بالنـــــاس ســـــخر!
وإذا مـــا ســـرت في الأخـــرىٰ فمـــا تبصـــر العـــين جمـــيلا أبـــدا
فهشـــيم أو قضـــيب حطمـــا حصـــد الـــدود بهـــا مـــا حصـــدا
إن هـــذا الأمـــر مـــن وحـــي الســـما لـــيس مـــن صـــنع حقـــود حقـــدا
وكـــذا الحـــظ إذا الحـــظ رمـــىٰ يقهـــر الـــنفس ويبـــري الجلـــدا
وإذا شـــــــئت صـــــــلاحا أفســـــــدا
وإذا أضـــــــرمت نـــــــارا أخمـــــــدا

في الوصف السابق ربط السارد بين الوصف ونفسية الموصوف له، فحقل يحيي بطل القصة صار هشيما تذروه الرياح، والدود ينخر فيه، ولم يبق فيه شيء

(١)بنية النص السردي ص ٧٦.

يمكن الاستفادة منه، وقد أسند السارد ما حل بهذا الحقل إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ فهو بيده كل شيء، ولم يكتف بذلك بل لجأ إلىٰ تشويش عقل يحيي بإسناد ذلك إلىٰ الحظ الذي بيده الفساد والصلاح ، وأما حقل جعفر فقد صار جنة الله في الأرض بثمره اليانع وخضرته الزاهية، وقد سر صاحبه به أيما سرور، ولاحت البشاشة في جبينه أينما وحل وارتحل وهكذا انعكست آثار الحقلين علىٰ نفسية أصحابيهما .

ويستمر الوصف في القصة من خلال السارد ليبرز شخصية بطل القصة (يحيىٰ)الذي مضىٰ في البحث عن بخته النائم دون الاكتراث بالعواقب الوخيمة التي سيتعرض لها خلال هذه الرحلة وفي هذا يقول الشاعر:

ومضىٰ لا ينثني عما عزم ... يتولىٰ صامتا أمر الرحيل

كل ما يحمل من وجد وهم ... واضح في ذلك الوجه الجميل

هدم الدهر به ما قد هدم ... من كيان الجسم والقلب العليل

ومحا من وجهه ما قد رسم ... فيه من نور سوىٰ نزر قليل

فهو كالوردة تسقىٰ للذبول

رافل في خرق كابن السبيل[1]

وهذا الوصف من السارد لشخصية البطل يجعل القارئ يتعاطف معه، ويرثي لحاله فقد تبدلت أحواله، وظهر الحزن في وجهه، وضعف بنيان جسمه ،وأشرف علىٰ الهلاك ،ولم يكتف السارد بالوصف الخارجي للشخصية بل وصف الحالة النفسية التي أصابت يحيي، فالتفكر في مصائب الدنيا يصيب الإنسان بالحسرة والألم، وهذا ما حدث ليحيي؛ ولذا اندفع في البكاء لعله يخفف ما ألم به .

(١)مجلة أبولو المجلد الأول ص ١٠٥٠.

وسعىٰ يحمل زاد السفر كل ما قد خفَّ فيما يحمل
شر ما يقنيه حمل الفكر يتجلىٰ في دجاها الأمل
لم يدع من خلفه من أثر غير دمع بالأسىٰ ينهمل
ترك البيت بلا منتظر ومضىٰ حيث يريد الرجل
في ظلام حالك ينتقل
يتولاه الأسىٰ والوجل

وألحظ مما سبق أن السارد استخدم التقنيات الفنية في بناء قصته ، وأنه اعتمد علىٰ " الشكل الفني العضوي وحرص علىٰ أن تتحد عناصرها الفنية من سرد وحوار ووصف في بنية واحدة تؤدي إلىٰ خاتمة معينة كما حرص علىٰ المنطقية والتناسب والسببية والتأثير مما جعل عالمها واضحا يفضي بالضرورة إلىٰ خاتمة مغلقة "[1] و يلجأ الشاعر كثيرا الي إبطاء الأحداث في هذه القصة خلال الوصف الذي تناثر في عقب كل حادثة تعرض لها بطل القصة و من ذلك قول الشاعر

بعد أن فارق هذا الرجلا ومضىٰ ينهب قفر البيد نهبا
كان أن صادف صوتا أجفلا ولو أن الصوت صوت الريح هبا
وبدا يبصر أشباح الفلا كجنود زحفت شرقا وغربا
فيرىٰ منها فريقا مقبلا وفريقا جد حتىٰ ازداد قربا
وهو إلا عن لقاء البخت يأبىٰ
زاعما أن المنىٰ تزداد قربا[2]

(١)الزمن في الرواية العربية ص ٥٦
(٢)مجلة أبولو المجلد الأول ص ١٠٥٦.

وقد يلجأ السارد إلىٰ الحذف "وفيه يكون زمن السرد أيضا أقل من زمن الحكاية حيث يتم السكوت التام عن التطرق لما حدث في الحكاية "[1] وهذا الحذف يلخص حياة الإنسان بما فيها من خير أو شر ويتوافق مع طبيعة الشعر القائم علىٰ الاختزال والتعبير بألفاظ قليلة عن معان كثيرة ، ومن ذلك قول السارد علىٰ لسان البخت وهو يخاطب يحيىٰ :

إنني أعلم ما لا تعلم أنا سر لم يذعه القدم
قد جرىٰ بي مذ خلقت القلم لك في الغيب وما يجترم
كاتب الغيب وما يعتصم منه مخلوق ولا يسترحم
قسم :هذا سعيد ينعم أو شقي أو جهول مجرم[2]

المشهد : " ويقصد بالمشهد المقطع الحوار الذي يأتي في كثير من الروايات في تضاعيف السرد إن المشاهد تمثل بشكل عام اللحظة التي يكاد يتطابق فيها زمن السرد بزمن القصة من حيث مدة الاستغراق وإن كان الناقد البنيوي (جيرارجنيت)ينبه إلىٰ أنه ينبغي دائما أن لا نغفل أن الحوار الواقعي الذي يمكن أن يدور بين اشخاص معينين قد يكون بطيئا أو سريعا حسب طبيعة الظروف المحيطة كما أنه ينبغي مراعاة لحظات الصمت أو التكرار مما يجعل الاحتفاظ بالفرق بين زمن حوار السرد وزمن حوار القصة قائما علىٰ الدوام"[3] والحوار في قصة البخت النائم يدفع الأحداث إلىٰ النمو والتصاعد والتأزم ؛ولذا حرص السارد علىٰ الاستعانة به لعرض المشكلة التي بنىٰ عليها قصته ، وخلال الحوار

(١)البنية السردية في شعر شوقي للأطفال (رسالة ماجستير) إعداد عبدالله أديب ص ٤٩ .
(٢)مجلة أبولو المجلد الأول ص ١١٠٣ .
(٣)بنية النص السردي حميد لحميدي ص ٧٨.

الذي جرىٰ بين بطل القصة يحيىٰ والبخت الذي ظهر له فجأة ؛ليصده عن حقل أخيه، ويكشف له عن الحقيقة التي لم يدركها يحيىٰ، وهي أن بخته نائم في قفر بعيد، وعليه أن يسعىٰ حتىٰ يصل إليه ،إذ بالوصول إليه تنجلي غمته، وتتحقق أمانيه. وفي ذلك يقول السارد :

يحيي: أنت من أنت وماذا تلفظ؟ ما الذي تبغيه مني ؟ ما تريد!

البخت :إنني حظ أخيك اليقظ إنني أحميه من كل حسود

يحي كيف عن روض أخي تمنعني وأخي أقرب لي من كل فرد

ماله مالي فلا يرجعني عن دخول الروض في الناس أحد

البخت: إنني أحميه من كل حقود منك أحميه ومما تحمل

لم تسد في قومها نفس حسود لا ، ولا ساد بحقد رجل

يحيي: فإذن قل لي من أنت إذن إنني كدت لما ألقىٰ أجن

البخت: قلت إني بخته الصاحي فلا تكثر السؤل هنا والجدلا

أيها الحاقد لا تحقد علىٰ أحد فالحقد يدني الزللا

لا ينيل الحق يوما أملا لا ، ولا للحظ حقد بدلا

وإذا ما الحظ يوما أقبلا ينبت الزهر بصخر أمحلا

إن للحظ جنودا وعلىٰ

أمرهـــــــا قامـــــــت جنـــــــود في العـــــــلا

وهكذا يستمر الحوار إلىٰ أن يدرك يحيىٰ أن حظه في أرض بعيدة، وعليه أن يستعد للسفر حتىٰ يصل إلىٰ بخته ،فيوقظه من ثباته؛ ليصحو كما صحا بخت أخيه ،وهذا الحوار جعل زمن السرد مساويا لزمن الحكاية ،وهو من التقنيات التي حرص الشاعر علىٰ استثمارها في بناء قصته .

مما سبق أدرك أن السارد من خلال الزمن استخدم عدة تقنيات فنية وهي : الاستباق التمهيدي ؛وذلك ليستشرف آفاق المستقبل وليتطلع إلىٰ ما سيحدث فيه .

والخلاصة وهي من العناصر الفنية إذ يسرد خلالها مجموعة من الأحداث وقعت في أزمنة مختلفة ويختزلها السارد في أسطر قليلة .

الوصف : وفيه يلجأ السارد إلىٰ تبطيء الأحداث، ويبرز من خلاله شخصية البطل.

الحذف وفيه يكون زمن السرد أقل من زمن الحكاية .

المشهد وهو الحوار الذي يأتي في ثنايا القصة لكي يتطابق زمن القصة مع زمن السرد .

٢ـ البنية المكانية

يعد المكان من العناصر المؤثرة في بنية القصة فلا توجد قصة بدون أحداث لها أزمنة وأمكنة معينة ولذا قيل " إن ظهور الشخصيات ونمو الأحداث التي تساهم فيها هو ما يساعد علىٰ تشكيل البناء المكاني في النص فالمكان لا يتشكل إلا باختراق الأبطال له ، وليس هناك بالنتيجة أي مكان محدد مسبقا، وإنما تتشكل الأمكنة من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال، ومن المميزات التي تخصهم "[١] والحديث عن المكان في القصة يستدعي بالضرورة اللجوء إلىٰ الوصف وله وظيفته التي " يمكن تسميتها بالوظيفة التفسيرية ذلك أن مظاهر الحياة الخارجية من مدن ومنازل وأساس وأدوات وملابس إلخ تذكر لأنها تكشف عن حياة الشخصية النفسية وتشير إلىٰ مزاجها وطبعها وأصبح الوصف عنصرا له دلالة خاصة واكتسب قيمة جمالية حقة ويؤكد (فلوبير)أن الوصف لا يأتي بلا مبرر بل إن كل مقطع من مقاطعه يخدم بناء الشخصية ، وله أثر مباشر أو غير مباشر في تطور الحدث وهكذا تلتحم كل العناصر المكونة للنص الروائي وتكتمل الوحدة العضوية للعمل وتصبح الأجزاء المختلفة مرايا تعكس بعضها بعضا لتقديم الصورة المجسمة "[٢] بدأ السارد قصته بالإشارة إلىٰ المكان الذي وقعت فيه القصة وهو بلاد (فارس) ولم يشأ أن يحدثنا عن وصف المكان الذي وقعت فيه القصة، وإنما ترك العنان لخيال القارئ أن يسبح في أرجاء بلاد فارس؛ ليشاهد هذا المكان الخصب المليء بالثمار والزروع التي تدل علىٰ كمال النعمة التي كان يعيش فيها والد بطل القصة، وأما الزمن فقد عبر عنه بقوله " عصر مضىٰ " ،ولم يشأ أن يحدد الزمن، وهذا يدل علىٰ أن هذه القصة تعد نموذجا قد

(١)بنية الشكل الروائي تأليف حسن بحراوي ص ٢٩.

(٢)بناء الرواية د/ سيزا قاسم ص ١١٥.

يقع في أي عصر وفي أي وقت فالسعادة والشقاء كتبا علىٰ بني الإنسان من لدن آدم وحتىٰ آخر الزمان، والبحث عن الحظ السعيد والخامل من الأمور التي حارت البرية فيها ووصف السارد المكان في أثناء حديثه عن حديقة يحيي وأخيه بقوله :

روض هـــذا حافـــل بـــالثمر وخـــلا ثانيهمـــا مـــن ثمـــر
لـــم يـــدع ثانيهمـــا للنظـــر بهجـــة مـــن قيمـــة أو منظـــر
خصـــــــه الـــــــدود بأكـــــــل الزهـــــــر
إن بـــــــدا في الـــــــروض بعـــــــض الزهـــــــر
تربـــة الأرض هنـــا واحـــدة كيف جاد البعض والبعض أبىٰ
جنـــة تربتهـــا جامـــدة نبتهـــا يـــوري الأســـىٰ والغضـــبا
فهـــي في إفقارهـــا هامـــدة بينمـــا الأخـــرىٰ تفـــيض الـــذهبا
والليـــالي نفســـها شـــاهدة وهـــي لا تـــدري لهـــذا ســـببا(١)

وصف السارد مكانين أولهما حافل بالثمر والآخر قفر ليس به ثمر ، وقد تسلط الدود عليه فلم يبق فيه شيء ،وهذان المكانان المتناقضان في الوصف لهما أثر علىٰ نفسية أصحابيهما فالأول يعيش كاسف البال مهموما يكاد الحقد يقتله وتعبس به الظنون وتضطرم نيران الحسد في قلبه ويسعىٰ إلىٰ قتل أخيه أو إهلاك زرعه وأما الثاني فيرفل في نعيم العيش وكلما زرع حصد وزاد ماله وكثرت النعمة عنده فهو يعيش في رغد من العيش سعيدا بماله وقد تفتحت أمامه سبل الحياة الهنية لا يضمر حقدا لأحد ، ولا يسعىٰ في طريق الشر فقد شغلته نعمته عن التفكير في ضرر الآخرين .

(١)مجلة أبوللو المجلد الأول ص ٨٩٣ .

وهذان النموذجان قدمهما السارد خلال وصفه للمكان وصفا متناقضا وهذا الوصف دفع بالأحداث نحو النمو والتأزم وبهذا ندرك أن المكان له دور بارز في القصة وقد ألمح السارد في وصف مكان الجنتين واستطرد في الوصف حتىٰ انعكس هذا علىٰ نفسية بطل القصة يحيي ولذا هم بقتل أخيه ولكن يقظة ضميره حالت بينه وبين تنفيذ هذه الفكرة .

ولما هم يحيىٰ بالرحيل للبحث عن حظه النائم في قفر بعيد عمد السارد إلىٰ وصف الأماكن التي اجتازها يحيىٰ ليصور لنا هول ما حل به وما صادفه في هذه الرحلة حتىٰ يجذب القارئ ويشوقه إلىٰ متابعة الأحداث التي مر بها بطل القصة وفي ذلك يقول الشاعر:

وسرىٰ يحدو به صوت الطمع ... في قفار دونها هول القفار
تارة يهوىٰ وأخرىٰ يرتفع ... في هضاب الأرض أو قفر الصحارىٰ
لوحته الشمس حتىٰ لم تدع ... موضعا لم تصله منه بنار
وهو في قوة نفس تندفع ... في اقتدار دونه كل اقتدار
وكأني بالفتىٰ في الليل ساري
قاتل يهرب أو ساع بنار

ويصف السارد الأماكن التي قطعها يحيىٰ بالوحشة والفزع، فهي بيداء قاحلة لا زرع بها ولا ماء تسكنها الوحوش الضواري، وهي مفاوز مهلكة لا ينجو منها إنسان ،وقد خيل ليحيي أن الأشباح تحيط به في كل مكان يذهب إليه كأنها جنود تبحث عنه حتي تقضي عليه .وفي ذلك يقول السارد:

بعد أن فارق هذا الرجلا ... ومشي ينهب قفر البيد نهبا
كان أن صادف صوتا أجفلا ... ولو أن الصوت صوت الريح هبا
وبدا يبصر أشباح الفلا ... كجنود زحفت شرقا وغربا

فيـــري منهـــا فريقـــا مقـــبلا وفريقـــا جـــد حتـــي ازداد قربـــا

ولأن السارد يولي المكان أهمية خاصة وجدناه ممسكا بالخيط الذي يجمع شتات القصة فالبطل يبحث عن حظه العاثر في مكان بعيد ولذا فهو يجتاز أماكن عسيرة بغية الوصول إلي بختة ،ولما وجد بطل القصة مكانا عامرا بالبنيان فيه بيوت ظن أنه قد وصل إلي بغيته ؛ولكن المفاجأة كانت غير سارة .وفي ذلك يقول السارد:

ومضىٰ يمشي علىٰ صبر وصمت وســـعىٰ حتـــىٰ رأىٰ في الأفـــق
أثـــر العمـــران مـــن نـــور ونبـــت وبيوتـــا في حـــدود الشـــفق
قـال: يـا بشـرىٰ لقـد أقبـل بختـي أبشـري يـا مهمتـي واصـطفقي

ويتلون المكان حسب نفسية بطل القصة فعندما يكون مسرورا يري المكان في أبهي صورة وأحسن منظر فالنبات يعلو الهضاب والنوار بين النرجس يرسم لوحة متكاملة زاهية تطرب القلب وتفرح النفس وتذهب الحزن فالنسيم يمر علي الزهر فينقل العطر من مكان لأخر والأرض تبتسم أمام بطل القصة وتبادله الشعور بالغبطة والسرور وفي ذلك يقول السارد:

نبت العشب علي أعلي القمـم وانثنـــي النـــوار بـــين النـــرجس
وكـــأن الزهـــر في روض رســـم بيـــد لـــم تقتـــرف مـــن دنـــس
كلمـا هـب علـي الزهـر نسـم عطِّـــرت منـــه بـــروح قدســـي
كـادت الأرض ابتهاجـا تبتسـم وتجلـــت في الثيـــاب السندســـي
في هضـــــاب كلهـــــا لـــــم تغـــــرس

في الفـــــــــلا إلا بـــــــــذوق ســـــــــلس[1]

ومما سبق يتضح أن المكان "الفني لا يقدم بمعزل عن بقية عناصر الرواية (الشخصيات والحدث والزمان والحبكة)وهو في النهاية القاعدة الأساسية التي يستطيع الكاتب من خلالها أن يضفي أبعادا مختلفة علىٰ الأشياء، ويشد العمل الفني بحيث يتعدىٰ كونه مجرد وعاء يحتوي علىٰ الأحداث، وتزداد قيمته كلما كان متداخلا في عناصر العمل الفني كلها مفردة ومجتمعة في الشكل الأخير للعمل الفني بكامله "[2] وقد أحسن السارد صنعا في الاهتمام بالمكان فجاء محورا مهما متضافرا مع بقية عناصر القصة وأسهم في تصاعد وتيرة الحدث وأثر في نفسية شخصيات القصة وقد نجح السارد في الإفادة من إمكانات المكان في نضوج هذا العمل الفني .

(١)مجلة أبولو المجلد الأول ص ١١٠٦.

(٢)المكان في رواية زينب الواقع والدلالات د/ حسني محمود مجلة الموقف الأدبي منشورات اتحاد الكتاب العرب عدد ٣٤٣ سنة ١٩٩٩م ص ٤٧

٣ــ الشخصيات الحكائية :

إن الشخصيات الحكائية في القصة من أهم المحاور الفنية التي "تنهض بعبء الأحداث وتتفتح عن كنوز المعارف النفسية والاتجاهات السلوكية والقدرات العقلية والاستجابة التي لا تنتهي "[١] "والشخصية تسخر لإنجاز الحدث الذي وكل الكاتب إليه إنجازه وهي تخضع في ذلك لصرامة الكاتب وتقنيات إجراءاته وتصوراته وأيديولوجيته : أي فلسفته في الحياة "[٢] والشخصية تصور الحياة التي نحياها بما فيها من خير أو شر ولذلك يحرص كتاب القصة علي الاهتمام بالشخصية وخلقها إما من الواقع أو من الخيال أو من التاريخ وأما "حضور الشخصية في الشعر فهو اختبار إبداعي نظرا لقيام الضمير (غير المتعين) بدورها بينما لا يقوم السرد النثري إلا بتعين الشخصية نفسها ومن ثم فتعين الشخصية في القصيدة يتحمل بوظائف أعلي بكثير عنها في السرد كما وصف الشخصية في السرد يوهم بواقعيتها بينما وصف الشخصية في الشعر يرفعها علىٰ كونها شخصية واقعية ومن هنا لابد من المجاز في وصفها خصوصا أن واقعيتها تفرض اللجوء إلي المجازية بينما في السرد الشخصية متخيلة ،كما أن الشخصية في السرد تتحقق من خلال علاقتها مع شخصيات أخري بينما في الشعر غير مشروطة بوجود شخصيات أخري "[٣] ومن النقاد من يقلل من أهمية الشخصية في الرواية ولا ينظر إليها خلال جوها النفسي ومرجعيتها الاجتماعية "إن التحليل البنيوي وهو يجرد الشخصية من جوهرها السيكولوجي ومرجعها الاجتماعي لا يتعامل مع الشخصية بوصفها " كائنا " أي شخصا وإنما بوصفها

---

(١)أصول الأنواع الأدبية د / محمد أحمد العزب ط دار والي الإسلامية للنشر والتوزيع ص ٢٧٨

(٢)في نظرية الراوية د/ عبدالملك مرتاض ط عالم المعرفة سنة ١٩٩٨ ص ٨٦

(٣)آليات السرد في الشعر العربي المعاصر د/ ناصر ص ٨٦

فاعلا ينجز دورا أو وظيفة في الحكاية أي بحسب ما تعمله ، ومن ثم يستبدل (غريماس) مفهوم الشخصيات بمفهوم العامل "[1] لقد قدم السارد شخصيات قصته تقديما غير مباشر ،وهذا يعني أن التقديم جاء بواسطة السارد، وقد وصف السارد الحالة النفسية للشخصية وهي تعمل ولا تمل من العمل ؛ومع ذلك فهي متمسكة بالصبر حتىٰ نفد الصبر، ولم يعد يطيق الحالة التي وصل إليها فهو يحرث الأرض ويجتهد في زراعتها، ومع ذلك لا ينمو زرعه ،ولا يفلح كده، ولا يرجىٰ منه خير ولذا أصيب يحيي باليأس، والملل، والضجر، والجزع، والغضب، والحسرة، وهذه الصفات ذكرها السارد لشخصية البطل. وذلك في قوله :

بعد هذا الصبر والجهد الطويل وحيـــاة حفلـــت بالعمـــل
يـئس المنكـود مـن كـل سـبيل لصـــلاح وانثنـــىٰ في ملـــل
ثـائرا في غضـبة القلـب الملـول جازعـــا في حســـرة أو وجـــل
وينـاجي الـنفس في هـم ثقيـل في حيـــاة ملئـــت بالعلـــل
خـــــائر الـــــنفس قليـــــل الأمـــــل
غاضـــــب المهجـــــة جـــــم الجـــــدل[2]

وهذه الصفات النفسية التي ذكرها السارد دفعت بالأحداث إلىٰ النمو والتأزم، ونقترب من شخصية يحيىٰ خلال المنولوج الداخلي "حديث النفس"[3] الذي يكشف عما تضمره الشخصية من حب أو كره للآخرين فقد دار

(١)تحليل النص السردي محمد بو عزة ط الأولىٰ سنة ١٤٣١هـ ٢٠١٠م ص ٣٣٩.

(٢)مجلة أبولو المجلد الأول ص ٨٩٤.

(٣)(المنولوج الدرامي) "حديث النفس "هو الحوار الدرامي الداخلي المنفرد بين صوتين لشخص واحد أحدهما هو صوته الخارجي العام أي صوته الذي يتوجه به إلىٰ الآخرين والآخر صوته الداخلي الخاص الذي لا يسمعه أحد غيره ولكنه يبزغ علىٰ السطح من آن لآخر

المنولوج الداخلي بين يحيىٰ ونفسه حول سبب فشله ونجاح أخيه فهو يعمل في حديقته ويجد في العمل ومع ذلك لا يجني أي ثمرة ، وأما أخوه فيقوم بالأعمال نفسها، ومع ذلك ينمو زرعه، ويحصد ثمره ،ثم أسند يحيىٰ فشله ونجاح أخيه إلىٰ الحظ السيء. وفي ذلك يقول السارد :

أأخـي أفضـل منـي ؟!إننـي كـدت أن أفقـد عقلـي كمـدا
وعجبـت أنـه يفضـلني لا بعقـل أو ذكـاء أبـدا
خصـه الله بحـظ حسـن أكثـر المـال لـه والولـدا
ويكـاد الحـزن أن يقتلنـي وغـدت نفسـي لا تخشىٰ الـردىٰ
والليـالي لـم تـدع لـي جلـدا
لا ، ولا بـالنفس للخيـر صـدىٰ
حـرت في أمـري وفي أمـر الـزمن وأخـي هـذا طـروب يـنعم
خبـروني مـن يخـط الحـظ مـن ؟ إننـي مقصـده لا أفهـم![1]

وفي هذا "الأسلوب يتوارىٰ الراوي تماما ،ويترك الساحة للشخصية؛ لتعبر عن نفسها مباشرة "[2] وقد تكرر المنولوج الداخلي في لحظات تأزم الأحداث، وكأن السارد يرغب في إسماعنا صوت البطل وهو لا يدري ما يصنع في حظه العاثر وحظ أخيه السعيد، وخاصة عندما عزم علىٰ قتل أخيه. وفي ذلك يقول السارد علىٰ لسان يحيي :

هذا الصوت الداخلي إذ يبرز لنا كل الهواجس والخواطر والأفكار المقابلة لما يدور في ظاهر الشعور أو التفكير إنما يضيف بعدا جديدا من جهة ويعين علىٰ الحركة الذهنية من جهة أخرىٰ " ينظر المنولوج بين الدراما والشعر أسامة فرحات ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٢٠.

(١)مجلة أبولو المجلد الأول ص ٨٩٥.

(٢)بناء الرواية دم سيزا قاسم ص ٢٢٧.

غيـــر أن القتـــل أمـــر جلـــل ما الـذي أكسـبه مـن بعـد قتلـه
أتـــرىٰ يفعـــم قلبـــي الأمـــل أم تـــرىٰ يهجـر قلبـي بعـض غلـه
أم تـــرىٰ يهـــدم قلبـــي الوجـــل أم تـــرىٰ أزعـــج مـــن رؤيـــة ظلـــه
إننـــي يثقلنـــي مـــا يثقـــل والـدم المسـفوك يعنينـي بحملـه
وأظـــــل العمـــــر مهمومـــــا لأجلـــــه
ربما أهلـــكته مـــن غـــير قتـــله

والشخصية الثانية في القصة هي شخصية (جعفر) والتي لم نعلم عنها شيئا إلا من خلال السارد الذي وصفها بالفوز في كل شيء تعمله يده وذلك في قوله :

فـــأخ يرشـــف كـــأس الظفـــر وأخ يجـــرع كـــأس الكـــدر
روض هـــذا حافـــل بـــالثمر وخـــلا ثانيهمـــا مـــن ثمـــر

وخلال المونولوج الداخلي الذي دار بين يحيىٰ ونفسه تعرفنا علي شخصية (جعفر) الذي ينعم بالمال والولد ولا يكدر صفو حياته شيء وهو من الشخصيات الغير نامية وفي ذلك يقول السارد :

أأخـــي جعفـــر هـــذا غـــادر أم هـــو الحـــظ بآمـــالي غـــدر؟
فهـــو أني ســـار يومـــا ظـــافر وهـــو أني كـــان بالكســـب ظفـــر

ومن الشخصيات التي وردت في القصة شخصية خيالية جاءت في صورة شيخ جليل هو بخت جعفر الذي يحرس زرعه وحال بين يحيىٰ وبين أن يعيث فسادا في حقل جعفر وقد برزت صورة البخت في شكل رجل قائم يحمي حقل جعفر، ولما منع يحيىٰ من سرقة زرع أخيه، وبين له عاقبة الحقد، قال له يحيىٰ دلني علي بختي، وأين أجده؟ حتي يتغير حظي ،فأرشد يحيىٰ إلي الرحلة التي يحظىٰ فيها بمقابلة بخته النائم، وهنا شرع يحيىٰ في الرحلة . والحوار الذي دار بين يحيىٰ

وبخت أخيه كشف لنا هذه الشخصية الخيالية التي لم تظهر إلا مرة واحدة في القصة ومما جاء في هذا الحوار قول السارد :

يحيىٰ: أنت من أنت وماذا تلفظ؟ ما الذي تبغيه مني؟ ما تريد؟
البخت: إنني حظ أخيك اليقظ إنني أحميه من كل حسود
يحيي كيف عن روض أخي تمنعني وأخي أقرب لي من كل فرد؟
مالـه مالي فلا يرجعني عن دخول الروض في الناس أحد؟
البخت: إنني أحميه من كل حقود منك أحميه ومما تحمل
لم تسد في قومها نفس حسود لا، ولا ساد بحقد رجل[1]

ومن الشخصيات التي ظهرت في القصة شخصية الأسد الذي تعرض للفتك بيحيي ولكنه أمهله حتي يعود من عند بخته ليخبره كيف أنه لا يشبع أبدا ولا ينتهي عن سفك الدماء وتلك علة لم يبرأ منها بعد وفي ذلك يقول السارد :

الأسد: فأتي يجري إليه الأسد قائلا: قف أيها الإنسان قف
قف وقل لي أي أمر تقصد لا ترع من هول بطشي أو تخف
ما الذي في القفر هذا تنشد ستلاقي الموت إن لم تعترف
ما الذي بين الصحاري تجد قل بحق لي عنه وانصرف

ويجيب يحيىٰ علي الأسد في حوار طويل نقتطف منه هذا الكلام :

إن بختي يا مليك الفلوات نائم في موطن قفر بعيد
كم شكوت الحظ لم تنفع شكاتي أو صحا البخت من النوم الشديد
ولكم أكثرت لله صلاتي طال فيها من قيامي وقعودي

(١)مجلة أبولو ص ١٠٤٨

ثـم أشـفقت علـي مـر حيـاتي حينمـا أبصـرت حظـي في جحـود

وشخصية قاطع الطريق من الشخصيات التي قابلها يحيىٰ في أثناء رحلته إلي البخت النائم ،وقد قام السارد بوصف هذه الشخصية وصفا واقعيا يدل علي ما تتسم به هذه الشخصية من شجاعة، وقوة، وشك في كل شيء من حولها، فهو أشعث الشعر وافر اللحية، قد علاه الشيب، وقامته مستوية ،لديه بأس يمكنه من العيش في هذا المكان القفر دون خوف. وفي هنا يقول السارد :

فـرأي شخصـا عجيـب المظهـر أشـعث الشـعر غريـب المنظـر

وافـر الهيبـة جـم الحـذر أشـيب اللحيـة كـث الشـعر

مسـتقيم العـود مـلء النظـر واقفـا كالنسـر بـين الحفـر

وجهـه فيـه معـاني الكـدر لحظـه مـن غيظـه كالشـرر

قـال مـا عنـدك لـي مـن خبـر

أنـت جـن أنـت أم مـن بشـر[1] !؟

ودار حوار بين يحيىٰ وبين هذا الشيخ الذي لم نعرف اسمه، ولكن عرفناه من وصفه أنه قاطع طريق، ويعيش في هذا المكان القفر، ومعه كنزه ،ولكنه غير سعيد في حياته، فعلي الرغم من أن المال قريب من يديه إلا أنه لم يستطع التصرف فيه ؛ولذا طلب من يحيىٰ أن يسأل الحظ عن سبب شقائه علي الرغم من المال الذي بين يديه

يحيـي: قـال في خـوف أمانـا ولامـا أيها الشيخ أعـرني منك سـمعا

لـم أرد شـرا ولا شـئت اجترامـا إننـي أبعـد عـن ذلـك طبعـا

(١)مجلة أبولو ص ١٠٥٥

إن بختـــي أيهـــذا الشـــيخ نامـــا فأنـــا اليـــوم إلـــىٰ بختـــي أســـعي

فـإذا مـا إن صـحي بختـي وقامـا ورعـــاني وهـــو للإنســـان يرعـــي

عـــــدت أجنـــــي النفـــــع أو حاولـــــت نفعـــــا

وتخـــــــذت البخـــــــت في الأيـــــــام درعـــــــا

الشـيخ: فـإذا ألفيتـه حدثـه عنـي ثـم إن عـدت أجبنـي عـن سـؤالي

إن لـي كنـزا عظـيم القـدر يغنـي لـيس يجـديني ولا يسـعد حـالي

هـا هـو الكنـز القريـب هـو منـي ثـم لا أسـتطيع تصـريفا لمـالي

أي أمـر لـي عـن نفعـي يثنـي ألأن النـاس أعـداء حيـالي؟

مـــا الـــذي يعـــرف في تصـــريف مـــالي

ولأقضـــــي العمـــــر في أســـــعد حـــــال

وقد حرص السارد علي وصف ملامح شخصية قاطع الطريق ليدخل الرعب في نفس(يحيىٰ) ويبين مدي الشعور بالانهزام الذاتي أمام هذه الحادثة التي تعرض لها البطل ولعل تعامل السارد مع هذه الشخصية يوضح لنا أنه تعامل علي " أنها كائن حي له وجود فيزيقي فتوصف ملامحها وقامتها وصوتها وملابسها وسحنتها وسنها وأهواؤها وآمالها و آلامها وسعادتها وشقاوتها[1] " . وتأتي شخصية الملك في القصة ،وهو شخص عادل لا يظلم عنده أحد ،وقد قابله يحيىٰ بعد أن وقع في قبضة حراس الملك، ثم اقتادوه إليه ،ثم شرع يحيىٰ في سرد قصته مع بخته النائم وطلب الأمان من الملك ،وقد رق الملك لحال يحيىٰ، وطلب منه أن يسأل بخته عن الهم المسيطر علي الملك علي الرغم من ملكه

(١)في نظرية الرواية د / عبد الملك مرتاض ص ٨٦.

العظيم فهو يري الحياة بعين مملوءة بالحسرة، ولا يحس بأي سعادة ،وهذا أمر متناقض فقد تحقق لهذه الشخصية بحبوحة العيش والأمن والسعادة التي لا بديل عنها، ومع ذلك يسيطر الحزن والقلق النفسي والشقاء علي هذه الشخصية، ومرد هذا التناقض سيتضح عند عودة يحيي بعد لقاء بخته وفي ذلك يقول السارد:

قـــل لهـــذا البخـــت إن حادثتـــه ما الـذي يعلـم مـن حـالي وشـأني
إن لـــي ملكـــا إذا شـــاهدته قلـــت فيـــه أنـــه جنـــة عـــدن
وتلطـــف أنـــت إن ســـاءلته عـن حيـاتي والـذي أبصـرت منـي
ملـــــك بالعـــــدل للأمـــــة يبنـــــي
مجـــدها لـــم يطـــو مـــن حقـــد وضـــغن
واسـأل البخـت: أمـا مـن سـبب لأسـي قلبـي فـإني لسـت أدري
غيـــر هـــم دائـــب في طلبـــي وشـجون كـدن أن يـذهبن صـبري
لسـت أدري كيـف يحمـي غضـبي دون أن أزعـــج في ملكـــي بشـــر
وحيـــاتي غايـــة في العجـــب رغـم مـا قـد نلـت مـن جـاه وقـدر
ولقـــد ضـــاق بهـــذا الملـــك صـــدري
فمتـــي أهـــدأ في ســـري وجهـــري[1]

ووصف السارد آخر شخصية قابلها (يحيىٰ)وهي شخصية (البخت النائم) بعدة صفات تتناسب مع الصورة المتخيلة التي قدم لها أثناء حديث يحيىٰ مع بخت أخيه (جعفر) فهو شخص ضعيف لا يقدر علي القيام، وتراه راقدا يغط في

(١)مجلة أبولو ص ١٠٩٧

نومه غطا ،وهو كسول، ونظراته لا تبعث علي خير، ووجهه لا يبشر بخير كوجه الجن وهو في جلسته كالصنم .

وسعي نحو مكان الشبح فرأي شخصا ضعيفا راقدا
راقدا من تعب لم يبرح قال: هل أوقظ هذا الهاجدا؟
ثم نادي مرة، لم يفلح في الندا ، إذ ظل هذا جامدا
ثم نادي ثانيا ، لم ينجح في نداه ، ثم هز الساعدا
ثم هز الجسم جسما باردا
فانثني الراقد حيا قاعدا[1]

وهذا الوصف للشخصية من الخارج يعكس ما تضمره الشخصية من صفات نفسية تنعكس في ردود الأفعال التي تقوم بها وهذا ما دعا يحيي إلىٰ الوقوف أمام الشخص النائم ليحاول إيقاظه ، وليرسم لنا صورته التي تشعرنا بالفزع إزاء الصورة التي رسمها له، وهذه الحيرة التي بدت علىٰ يحيىٰ أثناء مشاهدته " لحظه النائم " سجلها السارد عبر الحوار الذي دار بين يحيي وهذا الشبح النائم بلا ملامح ظاهرة ولما كشف النائم عن شخصيته بعد حوار طويل بينه وبين يحيىٰ ،وقد أجاد السارد في رسم شخصيات قصته بمهارة فائقة " إذ قدم لنا صورة ثابتة للشخصية الإنسانية لا تقيد بقيود الزمان وهي تسير في طريقها وتقطع مراحل العمر المختلفة في رتابة وانتظام "[2] فشخصية يحيىٰ شخصية إنسانية موجودة في كل زمان ومكان لا توجد في عصر دون عصر ولا تعيش في زمن دون زمن بل موجودة في كل زمان ومكان فالنفس البشرية جبلت علي الطمع و عدم

(١)السابق ص ١١٠٠

(٢)فن القصة د/ محمد يوسف نجم ص ٥٤.

الرضا بقضاء الله و قدره ؛و لهذا فهي في شقاء دائم حتي تنتهي رحلتها من الحياة ،فكثير من الناس تظهر أمامهم فرص سانحة، ولكنهم يضيعونها، ولا يلتفتون إليها إلا بعد أن تفوتهم فيعضون أصابع الندم ،ويجرون ذيول الإخفاق مدعين أن حظهم العاثر هو سبب نكبتهم، ولا يتفكرون فيما حولهم ، وإنما يندبون حظوظهم، وتلك حال كثير من الناس .

المبحث الرابع : الأحداث الحكائية

يعد الحدث من أهم العناصر الفنية في القصة وذلك نظرا لتعلقه بالشخصيات وبالزمان و المكان فلا توجد قصة بدون أحداث إذ الحدث يرتبط بالشخصية فلا حدث بدون شخص يقوم به كما أن لكل حدث زمانا ومكانا وارتباط الأحداث بعضها ببعض يؤدي إلي اكتمال البناء الهرمي لأي قصة ومن هذا المنطلق سوف أقف علي مفهوم الحدث عند علماء السرد فالحدث " سلسلة من الوقائع المتصلة تتسم بالوحدة و الدلالة و تتلاحق من خلال بداية ووسط ونهاية نظام نسقي من الأفعال وفي المصطلح الأرسطي فإن الحدث هو تحول من الحظ السيئ إلي الحظ السعيد أو العكس . وحدثان يؤلفان حدثا أكبر وفي مصطلح (بارت) فإن الحدث مجموعة من الوظائف يحتلها العامل نفسه أو العوامل فعلي سبيل المثال فإن الوظائف المنوطة بذات في سعيها نحو الهدف تشكل الحدث الذي نسميه مطلبا والحدث هو أيضا الفعل " [1] و الحدث السردي هو "النواة الأساسية للحكي فكل حكاية هي في الواقع مجموعة من الأحداث المترابطة والمتداخلة تروىٰ عبر راو، ويتحدد نوعها تبعا لنوع أحداثها، فإذا كانت الأحداث تاريخية كانت الرواية تاريخية ، و إذا كانت الأحداث واقعية كانت الرواية واقعية ، و إذا كانت الأحداث رومانسية كانت رواية رومانسية " [2] و الحدث الرئيس في قصة (البخت النائم) هو البحث عن البخت النائم و الوصول إليه بعد رحلة شاقة و مجهدة كادت تهلك بطل القصة (يحيىٰ) وقد

(١)المصطلح السردي (معجم مصطلحات) تأليف جيرالد برنس ترجمة عابد خزندار مراجعة و تقديم محمد بريري ط المجلس الأعلىٰ للثقافة سنة ٢٠٠٣م ط الأولي ص ١٩

(٢)البنية السردية في شعر شوقي للأطفال (رسالة ماجستير) إعداد عبد الله أديب ص ١٢٧ .

وعده الحظ بالسعادة والهناءة ولكن يحيىٰ ركبه الغرور واستبد الطمع به حتي وقع فريسة في فم الأسد.

و الأحداث في القصة تتوالي؛ لتبرز لنا مضمون الحكاية حتي نصل إلي الحبكة الفنية ولو استعرضنا سير الأحداث في القصة لوجدناها جاءت علي النحو التالي:

الحدث الأول: يحكي أن رجلا من بلاد (فارس) له ولدان ورثا عنه قطعة من الأرض قسمت بينهما بالتساوي .

الحدث الثاني : تولي الولدان زراعة الأرض ، و استمدا العون من الله سبحانه وتعالي ؛ ولكن نتيجة عمل كلٍ منهما كانت مختلفة واحد منهما وفق في زرعه وعاد بالخير، والآخر أخفق في زرعه وعاد بالحسرة والألم .

الحدث الثالث : حقد يحيىٰ علي أخيه جعفر وتفكيره في قتله ولما همَّ بذلك تراءىٰ له شبح أبيه فحال بينه وبين فعل القتل، ولذا فكر يحيىٰ في سرقة حقل أخيه وفجأة ظهر له رجل منعه من سرقة حقل أخيه ولما سأله من أنت ؟ قال له أنا بخت أخيك اليقظ ، و أما بختك فنائم في مكان بعيد فلو ذهبت إليه وأيقظته من سباته لعدت بالخير الوفير، ومن هنا فكر يحيىٰ في الرحلة التي وجد فيها ثلاثة أمور عظام وهي :

١ـ مقابلة الأسد ٢ـ مقابلة قاطع الطريق صاحب الكنز الدفين

٣ـ مقابلة الملك .

وكل واحد من الثلاثة حمله رسالة إلىٰ بخته ، وانتظروا جميعا عودته من عند حظه العاثر .

ولما عاد يحيي إلىٰ الملك أخبره بسر تعاسته وعرض الملك عليه الملك ولكن يحيىٰ أبىٰ، ثم التقىٰ بقاطع الطريق وعرض عليه أن يبقىٰ معه ويعطيه نصف كنزه، ولكن يحيي أبىٰ ، ثم التقىٰ بالأسد الذي علم بأمره فمزقه الأسد تمزيقا وقضىٰ علىٰ يحيىٰ.

والأحداث السابقة هي المحرك العقلي للشخصيات في القصة ولذا يرىٰ(بروب)أن نستبدل بالحديث عن الشخصيات الحديث عن الوظائف وذلك في قوله " ففي الحالات المعروضة نجد قيما ثابتة وأخرىٰ متغيرة ، وما يتغير هو أسماء الشخصيات (وصفاتها في الوقت نفسه) .وما لا يتغير هو أفعالها أو وظائفها ويمكن أن نستخلص من ذلك أنه غالبا ما تسند القصة نفس الأفعال إلىٰ شخصيات مختلفة وهذا ما يسمح لنا بدراسة القصص انطلاقا من وظائف الشخصيات "[1]

وإنني أوافق (بروب) علىٰ هذا الرأي وخاصة أن ما دار في هذه القصة ينطبق علىٰ كثير من الناس يعيشون في أزمنة مختلفة، وفي أماكن مختلفة ،ومع ذلك يقومون بنفس الأفعال ففكرة البخت النائم أو الحظ العاثر موجودة مع الناس في كل زمان ومكان ،فمن الناس من يتعثر في حياته بسبب سوء تقديره للأمور أو فساد في رأيه أن واتته فرصة ولم يهتبلها، ومع ذلك يسند إخفاقه في الحياة إلىٰ البخت أو الحظ ويركن إلىٰ ذلك، ولا يحاسب نفسه علىٰ تقصيرها ، وإنما يرد ذلك إلىٰ حسن الحظ أو سوء الحظ ويعلق أخطاءه علىٰ ذلك ، وفكرة" بروب"

(١)مورفلوجيا القصة فلاديمير بروب ترجمة د/ عبد الكريم حسن د/ سميرة بن عمو ط الأولىٰ سنة ١٤١٦هـ١٩٩٦م ص ٣٧ .

التي نادىٰ بها وهي دراسة القصص خلال الوظائف التي تقوم بها الشخصيات لا يمكن أن تطبق علىٰ جميع القصص فمنها ما يقبل هذه الفكرة، ومنها ما يؤكد أن للشخصية دورا بارزا لا يمكن تجاهله أو اعتبار شخصية أخرىٰ ستقوم بهذا العمل، ويؤكد (رولان بارت) أن الوظائف ليست كل شيء في العمل القصصي وذلك في قوله :"ليس السرد مؤلفا من وظائف فقط إذ كل شيء يدل عليه بدرجات مختلفة فكل كلمة لها دلالتها في سير الحدث، وليس هنا كلمة ضائعة كل شيء في السرد له معنىٰ أو لا شيء فيه لا يحمل معنىٰ "[1] وأحداث القصة متوالية كل حدث يسلم إلىٰ غيره، وكلها منسجمة مع الحدث الرئيس في القصة فهي قائمة علىٰ علاقة الحافز، ومعنىٰ هذا أن لكل حدث حافزا يدعو إليه ،وسأقف علىٰ بعض الحوادث لأدلل علىٰ وجود الحافز فمثلا : كفاح يحيىٰ وأخيه في زراعة الأرض "هذا يعد حدثا والحافز هو جنىٰ الثمار لكل واحد منهما، وهذا ما دعاهما إلىٰ العمل في الحقل والكد في سبيل الحصول علىٰ الثمر النافع الذي يعود عليهما بالرزق الوفير ولكن النتيجة جاءت مفرحة لأحدهما، ومحزنة للآخر. وفي ذلك يقول السارد:

ومضىٰ بالولدين الزمن وهما بين كفاح وجهاد
ونتاج الأرض هذا ثمن للذي قد بدلا وقت الحصاد
وهو إما سيء أو حسن ربما جاءهما لا كالمراد
ومن الأرض جواد محسن ومن الأرض حري بالفساد
يتجلىٰ الحظ ما بين العباد

(١)طرائق تحليل السرد الأدبي ص ١٤ .

لا بكـــــــــد لهمـــــــــو أو باجتهـــــــــاد

وهنـــا تلمـــح بطـــش القـــدر وهنـــا تعـــرف ضـــعف البشـــر

فـــأخ يرشـــف كـــأس الظفـــر وأخ يجـــرع كـــأس الكـــدر

روض هـــذا حافـــل بـــالثمر وخـــلا ثانيهمـــا مـــن ثمـــر

لـــم يـــدع ثانيهمـــا للنظـــر بهجـــة مـــن قيمـــة أو منظـــر

خصـــــــه الـــــــدود بأكـــــــل الزهـــــــر

إن بـــــدا في الـــــروض بعـــــض الزهـــــر[1]

ونموذج آخر وهو رحلة (يحيىٰ)للبحث عن بخته النائم في مكان قفر، والحافز من وراء هذه الرحلة ،هو تحقيق السعادة وتغيير هذا الحظ النكد، ولكن النتيجة كانت هلاك يحيىٰ ولم يجن من رحلته غير ما خطه القلم عليه وفي هذا يقول السارد:

وانتهىٰ يحيـي مـن الـدنيا ولـم يجـــن مـــن رحلتـــه إلا العـــدم

مـــا محـــا المكتـــوب في القـــدم لا ،ولا غيـــر مـــا خـــط القلـــم

هكـــذا الـــدنيا حظـــوظ وقســـم كـــل حـــي حظـــه فيهـــا رســـم

خـاطيء مـن يغتـدي فيهـا بهـم وغبـــي مـــن تمـــادىٰ في الألـــم

وحكـــــيم النـــــاس فيهـــــا مـــــن علـــــم

أنهـــــا كانـــــت ولا زالـــــت قســـــم[2]

(١)مجلة أبولو المجلد الأول ص ٨٩٢.

(٢)مجلة أبولو المجلد الأول ص ١١٢٠

الحبكة القصصية :

إن القاص الجيد هو الذي يعرض الأحداث عرضا مشوقا يستدعي انتباه القارئ ويشحذ ذهنه لمتابعة سير الأحداث؛ وذلك عبر الكلمات المنتقاة، والأحداث المتخيلة المرسومة في ثوب الحقيقة، وهذا الكلام يؤكد ما جاء في مفهوم الحبكة إذ هي :"سلسلة من الحوادث يقع التأكيد فيها علىٰ الأسباب والنتائج، فإذا قلنا "مات الملك ثم ماتت الملكة بعد ذلك فهذه حكاية أما "مات الملك وبعدئذ ماتت الملكة حزنا فهذه حبكة، وقد احتفظنا هنا بالترتيب الزمني ولكن الإحساس بالأسباب والنتائج يفوقه "[1] وهذا التعريف يؤكد علىٰ عنصر السببية "في علاقة الأحداث بعضها ببعض بمعنىٰ أن الحدث (أ) هو ما أدىٰ إلىٰ (ب) و(ب) أدىٰ إلىٰ (ج) وهكذا ليس من الضروري بالمرة أن تمضي تلك الأحداث من نقطة إلىٰ أخرىٰ كمحطات القطار فهي جدلية ولكنها من عناصر مشتبكة ومتواشجة يظهر أحدهما هنا ويختفي هناك وهكذا يعود فورستر للتأكيد علىٰ عنصر الغموض ليس كطريقة مباشرة لصنع التشويق والإثارة بقدر ما يكون استهدافا لذكاء وذاكرة القارئ في طريقة اللعب بأوراق السرد ولكن لا داعي لاستباق الأمور "[2] والحبكة هي تطور للشخصية المعروضة في القصة وفي ذلك يقول الروائي "أف سكوت فيتزجيرالد" كاتب الرواية الرائعة "جاتسبي العظيم " إن الشخصية هي الحبكة والحبكة هي الشخصية " وسيتفق معه كثير من الكتاب

(١)أركان القصة تأليف ا.م .فورستر ترجمة كمال عياد جاد وحسن محمود ط دار الكرنك سنة ١٩٦٠م ص ١٠٥.

(٢)الحكاية وما فيها :السرد(مبادئ وأسرار وتمارين)تأليف محمد عبد النبي ط مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ط الأولىٰ سنة ٢٠١٧م ص ٦٨

في هذا الرأي لأن كل حلقة من حلقات سلسلة الحبكة هي تطور آخر يطرأ علىٰ تكوين شخصيتك ؛عقبة جديدة تتجاوزها كشف مغاير تواجهه"[1] وقد جاءت الحبكة في قصة البخت النائم متوازنة مع الحدث والشخصية فعدم قبول يحيىٰ لما آلت إليه حياته من شقاء كان المحرض الأول له هو نفسه التي بين جنبيه فقد ملئت بالحقد والحسد لما آل إليه حال أخيه جعفر من ثراء وهناءة وسعادة، بينما يحيىٰ يعيش في فقر وشقاء وفشل لا نظير له .ومن هنا بدأت الأحداث تتحرك تجاه الشر فالصراع خرج من نفس يحيىٰ إلىٰ أخيه ،فقد عزم يحيىٰ علىٰ قتل أخيه، ولكن طيف والده رده إلىٰ الصواب، ونهاه عن هذا الفعل، ثم بدا ليحيىٰ أن يسرق من ثمر أخيه، ولكنه وجد شخصا يمنعه فلما تعرف عليه أدرك أنه " بخت أخيه "، وأنه يرد كل من يفكر في الاعتداء علىٰ أخيه؛ ولهذا سأله يحيىٰ وأين بختي ؟ فقال: نائم في قفر بعيد، وإذا نبهته وأيقظته فسيصحو بختك، وتعود إليك السعادة التي فاتتك، ومن هنا فكر يحيىٰ في الرحيل للبحث عن بخته النائم، وجمع أمتعته، ومر في طريق قفر وواجه الأسد وهم الأسد أن يفتك به لولا أن الأسد عندما سمع شكايته رق له ووعده أن يرجع إليه؛ ليجيبه عن سبب جوعه وعدم شبعه. وفي ذلك يقول السارد

وسعىٰ حتىٰ رأىٰ عن كثب ... أسدا يرعىٰ الفلا في غضب
أين من صادفه لم يرعب ... أين من واجهه لم يهرب
قال: يارب و يا روح أبي ... نجياني اليوم مما حل بي
قرب الوحش فهل من مهرب ... منه فالوحش أتىٰ في طلبي

(١)السابق ص ٦٩.

وهنا تأزم الحدث فقد واجه يحيىٰ الأسد وجها لوجه واكتسىٰ وجه يحيىٰ بالفزع والخوف، وأدرك أنه لا نجاة له من هذا الموقف إلا بالصدق فحكىٰ قصته للأسد فلما سمعها رق له وتركه يسير شريطة أن يسأل بخته عن سبب جوع الأسد .ثم مضىٰ يحيىٰ في رحلته حتىٰ رأىٰ رجلا عجيبا يهدده بالموت؛ لأنه ظن فيه الشر وأنه جاء ليراقبه فكشف له يحيي عما جاء من أجله فرق له الشيخ وقال له: إذا جئت بختك فاسأله عني وعن كنزي الذي لم أنتفع به وعن سبب عداء الناس لي وفي ذلك يقول السارد :

الشيخ :ما الذي ساقك يا هذا الغريب ... ما الذي قادك في هذا المكان
أنت في عيني مخلوق مريب ... لم يلح لي فيك معنىٰ للأمان
ألأمر جئت أم أنت رقيب ... ترقب الغامض من حالي وشاني
سترىٰ موتك والموت قريب ... منك لو تكذب في أي بيان[1]

ثم يتأزم الحدث عندما يقع يحيىٰ فريسة لجنود الملك الذين هموا بقتله، ثم أخذوه إلىٰ الملك ،وحكىٰ له قصته مع بخته، فرق الملك له، وشمله بعطفه، ثم باح الملك بسره ليحيىٰ، وطلب منه أن يسأل البخت عن سبب حزنه الدائم علىٰ الرغم من ملكه العظيم، وفي ذلك يقول السارد:

أبصر الأيام في عيني سودا ... وأرىٰ الدنيا بعين الحاقد
مل قلبي الواجد العاني الوجودا ... وغدت نفسي كنفس الزاهد
لا أرىٰ في هذه الدنيا سعيدا ... خلق الناس بكون فاسد
وأساهم أين كانوا لن يبيدا ... رجع الكل بهم خالد

(١)مجلة أبولو المجلد الأول ص ١٠٥٥.

والأحداث في القصة تتنامي لنصل إلي ذروة تأزمها وليبقي عامل التشويق خيطا يشد بنية الأحداث بعضها ببعض، ويربط بينها برباط قوي حتي نصل إلي النهاية التي لا يمكن أن يتوقعها القارئ .

ومما سبق ألحظ أن هذه القصة تضمنت حدثا رئيسا وهو بحث يحيىٰ عن بخته النائم ،وأن الأحداث الفرعية أسهمت في بناء الحدث الرئيس حتي وصلنا إلي ذروة الأحداث، ثم جاءت نهاية الأحداث والعقدة ، بموت يحيىٰ علي يد الأسد ؛لنكتشف الحقيقة، وهي أن المشكلة لا تكمن في حظ يحيىٰ النائم في مكان قفر، وإنما بدت المشكلة في يحيىٰ نفسه الذي فرط في العديد من الفرص التي عنت له ،وهو يدير ظهره لها، ثم انتهت حياته نهاية مؤلمة علي يد الأسد الذي افترسه .

المبحث الخامس: الخطاب السردي وطرائقه

١ -الوصف:

هذه الكلمة لها معني خاص عند علماء السرد فقد جاء في معجم مصطلحات نقد الرواية أن الوصف هو "تمثيل الأشياء أو الحالات أو المواقف أو الأحداث في وجودها ووظيفتها مكانيا لا زمانيا قد يحدد الراوي الموصوف في بداية الوصف ليسهل علي القارئ الفهم والمتابعة أو يؤخر تحديده إلي نهاية الوصف لخلق الانتظار والتشويق "[١] ويأتي الوصف في قصة البخت النائم ليشي بعدة أمور منها : وصف خاص بالشخصية وقد يأتي عاما يطلق علي أي شخصية كما ورد في قول السارد :

أيهـــا الثـــائر فيهـــا لا تلـــم زدت في الثـــورة حزنـــا وألـــم
وتـــذكر أنـــت مـــن لحـــم ودم أنـــت مـــن مثـــل عظـــام ورمـــم
إن مـــــن أحيـــــا وأفنـــــي النـــــاس لـــــم
يطلـــــع النـــــاس علـــــي مـــــا قـــــد علـــــم[٢]

فالوصف السابق يطلق علي شخصية أي إنسان يثور علي واقعه ،ولا يرضىٰ به ولا يزداد من ذلك إلا حزنا وألما، ولا يجني من وراء غضبه شيئا ؛لأنه إنسان من لحم ودم وعظام يجري عليه من الأقدار ما سطره قضاء الله، والله عز وجل لم يطلع أحدا علي غيبه، ولذا يجب علي الإنسان أن يرضي بقضاء الله وقدره، وأن يذعن لسلطان الله، ولا يتمرد علي واقعه ،والوصف للشخصية جاء في قوله

(١)معجم مصطلحات نقد الرواية د/ لطيف زيتوني مكتبة لبنان ناشرون دار النهار للنشر ص١٧١

(٢)مجلة أبولو المجلد الأول ص ٨٩٠

:"الثائر" ،الثورة ،الألم ، لحم ، ودم ، عظام ، رمم، وهذه الأوصاف تصلح أن تطلق علىٰ أي شخص ثائر وقد عطلت سير السرد وأبطلت حركته ؛ولكنها أدت إلىٰ التمهيد للقصة التي سنرىٰ مشاهدها بعد قليل.

وصف السارد شخصية يحيىٰ وأخيه وصفا بليغا في صورة استعارية جميلة في قوله :فأخ يرشف كأس الظفر وأخ يجرع كأس الكدر

وهذا الوصف جاء ملائما للحالة النفسية التي كان يرسف في أغلالها يحيىٰ،وعلىٰ النقيض صورة أخيه الظافر بكل شيء ، وهاتان الصورتان علىٰ الرغم من التناقض البين بينهما إلا أن الوصف جاء محركا للأحداث صوب التأزم ،ولم يقف السارد عند وصف الشخصية بل أتبعها بوصف المكان ؛لأن للمكان أثرا بارزا في تحريك الشخصيات تجاه الأحداث ولذا نرىٰ السارد يقول :

روض هـــذا حافـــل بـــالثمر وخـــلا ثانيهمـــا مـــن ثمـــر

لـــم يـــدع ثانيهمـــا للنظـــر بهجـــة مـــن قيمـــة أو منظـــر

خصـــــــه الـــــــدود بأكـــــــل الزهـــــــر

إن بـــــــدا في الـــــــروض بعـــــــض الزهـــــــر

تربـــة الأرض هنـــا واحـــدة كيـف جـاد الـبعض والـبعض أبـا

جنـــة تربتهـــا جاحـــدة نبتهـــا يـــوري الأســـىٰ والغضـــبا

فهـــي في إقفارهـــا هامـــدة بينمـــا الأخـــرىٰ تفـــيض الـــذهبا

والليـــالي نفســـها شـــاهدة وهـــي لا تـــدري لهـــذا ســـببا

وصف السارد روض يحيىٰ بعدة صفات وهي خلوه من الثمر ،والدود يأكل زهره ،وروض أخيه عامر بالثمر ومنظره يجذب العين ، والمفارقة بينهما أن تربة الأرض واحدة ومتجاورة ومع ذلك فأرض يحيىٰ مقفرة هامدة بينما أرض أخيه

تفيض بالثمر ، وهذا الوصف من السارد لكلتا الجنتين حرك الأحداث تجاه التأزم ؛لأن الصورة الوصفية التي أمامنا هي الفعل الرئيس لنمو الأحداث التي ستقع بعد ذلك في القصة .

ووصف السارد شخصية يحيىٰ عندما قرر الذهاب إلي البحث عن بخته النائم ، وأول وصف له هو العزم علي الرحيل ، والهم والحزن باديان في وجهه الجميل ، وقد هدم الدهر جسده وقلبه ، وانمحت الابتسامة من وجهه ، ولم يبق من نور وجهه غير شيء ضئيل ، وثيابه صارت رثة من جراء هذه الرحلة الشاقة. وفي ذلك يقول السارد :

ومضـي لا ينثنـي عمـا عـزم يتـولىٰ صـامتا شـأن الرحيـل
كـل مـا يحمـل مـن وجـد وهـم واضـح في ذلـك الوجـه الجميـل
هـدم الـدهر بـه مـا قـد هـدم مـن كيـان الجسـم والقلـب العليـل
ومحـا مـن وجهـه مـا قـد رسـم فيـه مـن نـور سـوي نـزر قليـل
فهـــو كـــالوردة تســـقي للـــذبول
رافـــل في خـــرق كـــابن الســـبيل

وقد يأتي وصف المكان مرتبطا بالشخصية؛ ليدلل خلاله علي وحشة المكان وصعوبة اجتيازه ، وانعكست صورة المكان علي شخصية البطل فنري صورة المكان وصورة الشخصية مندمجتين في بعضهما؛ وذلك يضفي علي الصورة بعدا نفسيا يوحي بالحزن والألم والفزع والوحشة وخوف النفس من التلف في هذه الرحلة الشاقة .وفي ذلك يقول السارد :

وسري يحدو بـه صـوت الطمـع في قفـار دونهـا هـول القفـار
تـارة يهـوي وأخـري يرتفـع في هضـاب الأرض أو قفـر الصـحاري

لوحته الشمس حتي لم تدع موضعا لم تصله منه بنار

ومما سبق نعلم أن الوصف "يكشف عن حياة الشخصية النفسية ويشير إلي مزاجها وطبعها وأصبح الوصف عنصرا له دلالة خاصة ، واكتسب قيمة جمالية حقة ويؤكد (فلوبير) أن الوصف لا يأتي بلا مبرر بل إن كل مقطع من مقاطعه يخدم بناء الشخصية، وله أثر مباشر أو غير مباشر في تطور الحدث، وهكذا تلتحم كل العناصر المكونة للنص الروائي، وتكتمل الوحدة العضوية للعمل وتصبح الأجزاء المختلفة مرايا يعكس بعضها بعضا؛ لتقدم الصورة المجسمة "[1] وقد يصف السارد المكان ويعكس صورة المكان علىٰ الشخصية التي يتحدث عنها أو يترك السارد الشخصية لتتحدث عن المكان وانعكاساته علىٰ نفسه فقد نظر يحيىٰ إلىٰ البدر في السماء فوجده قد عم الكون بنوره وتجلت حكمة الله في صورة الكون التي تجمع بين الضياء والظلام وفي هذا يقول السارد :

ها هو البدر مضيء في السما ملأ الكون بإشعاع الضيا
وتجلىٰ الله فيما رسما وتجلت حكمة الله ليا
وبدا لي أن ما قد عُلِمَا هو نزر من عظيم خفي
صور تبقىٰ وكانت قدما هي إذ تبقىٰ كما كانت هيا

وقد يصف السارد ملامح الشخصية الخارجية والغرض من ذلك إثارة الفزع والهلع والخوف، وذلك يتناسب مع ما تقوم به الشخصية من أعمال، فشخصية السارق صاحب الكنز وصفه السارد أنه أشعث الشعر ، غريب المنظر ، كث اللحية ، كث الشعر ، وأشيب اللحية ، ومستقيم العود ، ووقفته كالنسر الواقف

(١)بناء الرواية د/ سيزا قاسم ١١٥ .

بين الحفر ،ووجهه يعلوه الشر ، ونظراته يتطاير منها الشر ، وكل هذه الصفات تتناسب مع هذه الشخصية ، وتبرزها في صورة شرسة من الخارج ، وأما وصف هذه الشخصية من الداخل فجاء منافيا لذلك وفي ذلك يقول السارد:

فرأىٰ شخصا عجيب المظهر أشعث الشعر غريب المنظر
وافر اللحية جم الحذر أشيب اللحية كث الشعر
مستقيم العود ملء النظر واقفا كالنسر بين الحفر
وجهه فيه معاني الكدر لحظه من غيظه كالشرر

ووصف السارد (البخت النائم) بعدة صفات هي النوم طول الوقت ،الكسل الشديد ،لا يظهر الخير في وجهه ،وجهه كوجه الشيطان ،يجلس كالصنم ، وهذه الصورة التي رسمها لبخت يحيي تتفق مع ما آلت إليه حياة يحيي من فشل ذريع في كل ما يقوم به من أعمال. وفي ذلك يقول السارد:

وسعىٰ نحو مكان الشبح فرأىٰ شخصا ضعيفا راقدا
راقدا من تعب لم يبرح قال هل أوقظ هذا الهاجدا
ثم نادىٰ ثانيا لم ينجح في نداه ثم هز الساعدا
ثم هز الجسم جسما باردا
فانثنىٰ الراقد حيا قاعدا

وهذا التشخيص للبخت في صورة إنسان حي ومحادثته ووصفه كما ورد في القصة " يشعر القارئ أنه يعيش في عالم الواقع لا عالم الخيال، ويخلق انطباعا بالحقيقة أو تأثيرا مباشرا بالواقع، ويقول محفوظ ـــ يقصد نجيب محفوظ ـــ :إن أكثر التفاصيل صناعة وفكر لإيهام القارئ بأن ما يقرأه حقيقة لا خيال إذ أنه لا يثبت الموقف أو الشخص لحقيقة مثل التفاصيل المتصلة به، وكلما دقت

أسرع القارئ إلىٰ تصديقها "[1] وقد يأتي الوصف خاصا بالطبيعة ولا علاقة له بالشخصيات ؛وإنما هو استطراد من السارد، والغرض منه تشويق القارئ لمتابعة سير الأحداث في القصة، وقد وصفه الناقد / لطيف زيتوني :"بالوظيفة الإيقاعية وهي قطع تسلسل الحدث لوصف المحيط الجغرافي الذي يكتنفه يولد تراخيا بعد توتر ، وقطع تسلسل الحدث في موضع حساس يولد القلق والتشويق وبالتالي التوتر"[2]

فقد وصف السارد البيئة المكانية خير وصف إذ نبت العشب فوق قمم الجبال ،والنوار بين النرجس يهتز فرحا وطربا معلنا عن هذا الجمال الذي خصه الله به ،والزهور في الروض تعلن البشر والسرور ، والنسيم ينقل العطر من مكان لآخر معلنا ابتهاج الأرض بهذا العرس الذي يتكرر كل عام ناشرا البهجة في كل مكان وفي ذلك يقول السارد:

نبت العشب علىٰ أعلىٰ القمم وانثنىٰ النوار بين النرجس
وكأن الزهر في روض رسم بيد لم تقترف من دنس
كلما هب علىٰ الزهر نسم عطرت منه بروح قدس
كادت الأرض ابتهاجا تبتسم وتجلت في الثياب السندس[3]

(١)بناء الرواية د/ سيزا قاسم ص ١١٥ .
(٢)معجم مصطلحات نقد الرواية ص ١٧٢.
(٣)مجلة أبولو المجلد الأول ص ١١٠٥.

الحوار:

يعد الحوار من الأسس التي تبني القصة أو الرواية عليه ،وهو يكسر رتابة السرد وبه تتحدث الشخصيات نفسها، ولذا حظىٰ بعناية النقاد ،فقد جاء في المعجم الأدبي أن الحوار هو "حديث يدور بين اثنين علي الأقل ويتناول شتىٰ الموضوعات أو هو كلام يقع بين الأديب ونفسه أو من ينزل مقام نفسه كربة الشعر أو خيال الحبيبة مثلا"[1] و في الحوار يوجد متكلم و مخاطب يعرض كل منهما وجهة نظره بطريقة منظمة، وصاحب قاموس السرديات عرف الحوار أنه:"عرض درامي للتبادل الشفاهي يتضمن شخصيتين أو أكثر، وفي الحوار تقدم أقوال الشخصيات بالطريقة التي يفترض نطقهم بها، ويمكن أن تكون هذه الأقوال مصحوبة بكلمات الراوي كما يمكن أن ترد مباشرة دون أن تكون مصحوبة بهذه الكلمات "[2] و من ميزات الحوار أنه يعكس : أسلوب الشخصية " اللهجة الاجتماعية كلام الشخصية يحمل سمات انتمائها الاجتماعي واللهجة الفردية كلام الشخصية يحمل سماتها الفردية وهوسها وانحرافاتها "[3] و " يجب أن يندمج الحوار في صلب القصة ؛لكي لا يبدو للقارئ وكأنه عنصر دخيل عليها متطفل علي شخصياتها، وهذا يعني أنه يجب أن يحقق فائدة ملموسة في تطوير الحوادث ، أو تقوية عنصر الدراما فيها، وكذلك في رسم الشخصيات ،والكشف

(١)المعجم الأدبي تأليف جابر عبد النور ط . دار العلم للملايين ط. الأولي سنة ١٩٧٩م ص ١٠٠

(٢)قاموس السرديات تأليف جيرالد برنس ترجمة السيد إمام ط. الأولي ٢٠٠٣م ص ٤٥

(٣)معجم مصطلحات نقد الرواية تأليف د/ لطيف زيتوني ط. مكتبة لبنان ناشرون دار النهار للنشر ص ٨١

عن مواقفها من الحوادث والحوار الذي لا يؤدي وظيفة من هاتين الوظيفتين يعتبر في نظر الفن غريبا علي العمل القصصي غربة تعليقات الكاتب ،و شروطه وتعقيباته ومواعظه وخطبه "[1] و قد اعتمد السارد في قصة البخت النائم علي الحوار؛ ليكشف حقيقة الأحداث التي يرغب يحيىٰ عملها، ومن ذلك عزم يحيىٰ علىٰ قتل أخيه ،وقد تراءىٰ له والده يكفه عن هذا العمل، ويبين له العاقبة الوخيمة التي تنتظره إذا أقدم علي فعل هذا الأمر. وفي ذلك يقول السارد :

و هنا عاوده صوت الضمير و رأىٰ والده كالشبح :
كف يا يحيي عن الأمر الخطير أي شر ولدي لم يفضح
بئس هذا من سبيل و مصير كل عذر ولدي لم يفلح
إني يا ولدي خير نذير لك فارجع للهدىٰ و انتصح
و مضي عنه خيال الشبح
و هو في جلسته لم يبرح[2]

ولعل هذا الحوار يكون صحوة ضمير يحيىٰ الذي تراءىٰ له شبح صورة والده يثنيه عن فكرة قتل أخيه، وهذا الحوار يعد مناجاة بين يحيىٰ ونفسه فقد جاء في معنىٰ المناجاة :"أنها عادة تتقولب في شكل حوار إذ يتكلم المرسل ويجيب نفسه"[3]

ويأتي حديث النفس؛ ليكشف عما يدور بنفس يحيىٰ، وحيرته في أمره ،وأمر أخيه جعفر الذي كلما صار في أي موضع تحقق له ما يصبو إليه من آمال

(١)فن القصة تأليف محمد يوسف نجم ص ١١٣
(٢)مجلة أبولو المجلد الأول ص ٨٩٥.
(٣)معجم المصطلحات الأدبية سعيد علوش ص ٢٠٩.

وطموحات ،وأما يحيىٰ فحظه عاثر كلما هم بعمل شيء لم يفلح ،ولما فكر في قتل أخيه وهم بذلك أدرك أن القتل لن يحقق له حياة آمنة، وإنما سيجلب له الشر والقلق والمعاناة النفسية التي ربما تقضي عليه، وفي هذا يقول السارد:

مـا الـذي أعمـل ؟إني حـائر وفـؤادي بالأسـىٰ لا يسـتقر
ويـح حظـي !إن حظـي جـائر وضـميري لـيس يـدعوني لشـر
أأخـي جعفـر هـذا غـادر أم هـو الحـظ بآمـالي غـدر!
فهـو أنـىٰ سـار يومـا ظـافر وهـو أنـىٰ كـان بالكسـب ظفـر

وقد يأتي الحوار؛ ليكشف لنا عن صفات الشخصيات المتحاورة ،ومن ذلك الحوار الذي جرىٰ بين الأسد ويحيىٰ ،وقد استطاع السارد أن يكشف لنا عن خبيئة نفسية الأسد، وهي البطش ،والقتل، والهلاك، وعدم الشبع، وشدة النهم ،وتلك صفات خاصة بالأسود، وقد صرح بها السارد خلال الحوار الذي جرىٰ بين يحيىٰ والأسد وكشف من خلال الحوار ما بداخل يحيىٰ من هموم، وانكسار نفسي بسبب بخته النائم، وفي هذا يقول السارد:

إن بختـي يـا مليـك الفلـوات نـائم في مـوطن قفـر بعيـد
كم شكوت الحظ لم تنفع شكاتي أو صحا البخت من النوم الشديد
ولكـم أكثـرت لله صـلاتي طـال فيهـا مـن قيـامي وقعـودي
ثـم أشـفقت علـىٰ مـر حيـاتي حينمـا أبصـرت حظـي في جحـود

واستطرد السارد في عرض هذا الحوار وأطال فيه وكان من المفترض أن يوجز في الحوار فالموقف لا يحتاج إلىٰ سرد حوار طويل بين يحيىٰ والأسد .

وقد يأتي الحوار لإظهار ما تضمره الشخصية من خوف أو حزن أو تمرد علىٰ الواقع ،وقد تجلىٰ ذلك في الحوار الذي دار بين يحيىٰ وصاحب الكنز الذي

يعيش في خوف شديد في مكان قفر بعيد يرجو الأمان، ولكن لم يتحقق له علىٰ الرغم من اعتزاله الناس. وفي هذا يقول السارد :

يحيي قال في خوف أمانا وسلاما أيها الشيخ أعرني منك سمعا
لم أرد شرا ولا شئت اجتراما إنني أبعد عن ذلك طبعا
إن بختي أيهذا الشيخ نامـا فأنا اليوم إلىٰ بختي أسعىٰ
فإذا ما إن صحا بختي وقاما ورعاني وهو للإنسان يرعىٰ
عدت أجني النفع أو حاولت نفعا
وتخذت البخت في الأيام درعا[1]

وقد يتدخل السارد أثناء الحوار كما تدخل أثناء حديث الجنود مع يحيىٰ عندما أمسكوا به ،وهذا التدخل من السارد في أثناء حوار يحيىٰ مع الجنود يكشف عن تعاطف السارد مع بطل قصته يحيىٰ .وذلك في قوله :

أمسكوا المسكين فانقاد لهم وهو لا يعلم ماذا يضمرون

ويظل يستطرد السارد في الوصف علىٰ مدار أحد عشر بيتا؛ ليكشف عن نفسية يحيىٰ ، ثم يستطرد في وصف الملك، وفي الحوار الذي دار بين يحيىٰ والملك إلىٰ أن يصل إلىٰ قوله :

يا سليل المجد يا خير الملوك لا تزد في شقوتي قبل وفاتي
خلني أمضي لحالي مليكي لا تزد في شقوتي أو حسرتي
فلقد تجديك يوما دعواتي
حينما تصعد لله صلاتي[2]

(١)مجلة أبولو المجلد الأول ص ١٠٥٥.

(٢)مجلة أبولو المجلد الأول ص ١٠٦٠

و هكذا نجد أن الحوار يكشف عن " الشعور الباطن تجاه الحوادث أو الشخصيات الأخرىٰ و هو ما يسمي عادة بالبوح و الاعتراف "[1]وقد جاء بطريقة عفوية خالية من التكلف والافتعال . وذلك واضح في اعتراف الملك بهمومه وشقاء نفسه علي الرغم من ملكه الواسع وثرائه العريض .

و قد يأتي الحوار؛ ليصور مدىٰ حيرة النفس وقلقها جراء ما تشاهد من أشياء عجيبة لم ترها من قبل ، و قد وضح ذلك عندما عاين يحيىٰ صورة البخت فصار قلقا من الذي يراه أمامه أهو إنس أم جن؟ يسمع أو لا يسمع ،وهل هو راع يرعىٰ غنما؟ وإذا كان كذلك فأين الغنم ؟ وقد صور السارد حيرة يحيىٰ في قوله :

قال يحيي في اضطراب أنت من أنــت لا تعقــل أم أنــت صــنم
و غريــب أنــت مــن أي وطــن أنــت يــا هــذا أجنبــي ثــم نــم
أنــت إنــس مثلنــا أم أنــت جــن و ســميع أنــت أم أنــت أصــم
حرت في أمرك قل لي أنت من أنــت راع فــإذن أيــن الغــنم
أم طريــــد أنــــت مــــن ثــــار و دم
أم تمــــادىٰ بــــك في الــــدنيا الألــــم؟

و مما سبق نتأكد أن الحوار كان من أهم الأسس التي بنيت القصة عليه، وأنه كشف عن الأبعاد النفسية للمتحاورين، وأنه ساعد في تطوير الأحداث، وخفف من حدة رتابة السرد، وأضفي علي القصة الجمع بين الخيال والواقع، فقد صور الخيال في صورة أناس واقعيين نراهم ونسمع حديثهم، وتلك ميزة من مزايا الحوار وقد أجاد السارد في استخدام هذه التقنية.

(١)فن القصة د/ محمد يوسف نجم ص ١١٣

الراوي :

لكل قصة راو يروي أحداثها ويكون بمثابة الوسيط بين القصة والقارئ لها أو المستمع إليها وقد يتدخل للتعليق علي بعض أحداثها أو لتفسير وجهة نظر معينة وقد أكد بعض النقاد أن " في كل حكاية مهما قصرت متكلم يروي الحكاية و يدعو المستمع إلي سماعها بالشكل الذي يرويها به هذا المتكلم هو الراوي أو السارد ، لا حكاية بلا راو يرويها "[1] و لكي نحدد موقف الراوي من القصة و مدىٰ علاقته بها ينبغي لنا أن نقف علي أنواع السرد فقد ميز الروسي " توما تشفسكي " بين نمطين من السرد : سرد موضوعي و سرد ذاتي ففي نظام السرد الموضوعي يكون الكاتب مطلعا علي كل شيء حتي الأفكار السرية للأبطال أما في نظام السرد الذاتي فإننا قد نتبع الحكي من خلال عيني الراوي (أو طرف مستمع) متوفرين علي كل خبر متي و كيف عرفه الراوي أو المستمع نفسه ففي الحالة الأولي (السرد الموضوعي) يكون الكاتب مقابلا للراوي المحايد الذي لا يتدخل ليفسر الأحداث؛ وإنما ليصفها وصفا محايدا كما يراها أو كما يستنبطها في أذهان الأبطال؛ ولذلك يسمي هذا السرد موضوعيا ؛لأنه يتحرك الحركة كالقارئ؛ ليفسر ما يحكي له و يؤوله و نموذج هذا الأسلوب هو الروايات الواقعية وفي الحالة الثانية لا تقدم الأحداث إلا من زاوية نظر الراوي فهو يخبر بها ويعطيها تأويلا معينا يفرضه علي القارئ ويدعوه إلي الاعتقاد به"[2]

وقد قسم الناقد الفرنسي الراوي أو السارد إلي ثلاثة أقسام " الحكاية ذات السارد العليم و يسميه بويون " رؤية من خلف و يرمز إليه(تودوروف) بالصيغة

(١)معجم مصطلحات نقد الرواية د/ لطيف زيتوني ص ٩٥ .

(٢)بنية الوصف السردي حميد لحميداني ص ٤٦

الرياضية : سارد شخصية حيث يعلم السارد أكثر من الشخصية بل يقدم أكثر مما تعلمه أي شخصية من الشخصيات و في الثاني سارد = شخصية فالسارد لا يقول إلا ما تعلمه إحدىٰ الشخصيات و هذه الحكاية ذات " وجهة النظر" حسب(لوبوك) أو ذات الحقل المقيد حسب(بلن) و التي يسميها(بوبون) الرؤية مع و في الطرف الثالث سارد " شخصية فالسارد يقول أقل ما تعلمه الشخصية... وهذا الذي يسميه بوبون "رؤية من الخارج ... و النوع الأول أطلق عليه التبئير الصفر وسيكون النمط الثاني هو الحكاية ذات التبئير الداخلي ...و سيكون نمطنا الثالث هو الحكاية ذات التبئير الخارجي"[1] وهكذا أن السارد أو الراوي له عدة مستويات حددها الناقد جيرار جينيت في ثلاثة أمور وعلىٰ ضوء هذا التحديد سنتعامل مع قصة البخت النائم لأحدد إلىٰ أي المستويات ينتمي السارد وبعبارة أخرىٰ هل السارد يجمع بين المستويات الثلاثة في قصته أم يجمع بين اثنين منها والتحليل سيكشف عن هوية السارد ، ويبدو لي أن القصة بدأت علىٰ لسان الراوي العليم لأنه علم بكل دقائق القصة وما يدور في نفوس شخصياتها ، ويتجلىٰ ذلك في قول السارد " هذه القصة أرويها " بضمير المتكلم ثم أعقب ذلك بضمير الغائب في قوله: "كما سمعت من والد عن والد" ومعنىٰ هذا أن هذه القصة حدثت قديما وما زالت آثارها تترىٰ وتتكرر أحداثها في كل زمان ومكان

وهذا يعني أن الإنسان همومه تتكرر علىٰ مسرح الحياة بناء علىٰ وجود المتقابلات في الحياة ، وخاصة الحظ السعيد والحظ العاثر أو البخت النائم

(١)خطاب الحكاية (بحث في المنهج جيرار جينيت) ص ٢٠١

والبخت اليقظ أو السعادة والشقاء ، وقد صرح السارد أنه يحكي هذه الحكاية كما سمعها وكما رويت له علىٰ مر الزمان وذلك في قوله :

هـــذه القصـــة أرويهـــا كمـــا ســـمعت مـــن والـــدعن ولـــد
لـــيس لـــي حـــظ بهـــا إلا بمـــا ســـوف أجـــزاه بنقـــد الناقـــد
قصـــة واحـــدة ماجـــت بمـــا بيـــد الفـــرد القـــدير الواحـــد
قصـــة تحكـــي لنـــا مـــا رســـما في الـــورىٰ مـــن صـــادر أو وارد

وقد تكرر ضمير الغائب في القصيدة وذلك في قول السارد :"كان في فارس " وقطع العمر صبيا ، وتولىٰ كل فرد منهما ، ومضىٰ بالوالدين الزمن، ومما يدل علىٰ علم الراوي بكل أحداث القصة تعليقه علىٰ فشل يحيىٰ في زرعه وتصويره للآلام النفسية التي عاشها يحيىٰ وذلك في قوله :

وجـــدال الـــنفس في خيبتهـــا موجـــع في وقعـــه كالنـــدم
وفي كراهـــا هـــو أو صـــحوتها ألـــم مـــا مثلـــه مـــن ألـــم
يتـــولىٰ الـــنفس في هـــدأتها ولـــو أن الـــنفس نفـــس المجـــرم
إنمـــا الأنفـــس في ثورتهـــا تتلظـــىٰ كاللهيـــب المضـــرم[1]

وقد يلجأ الشاعر إلىٰ صيغة الراوي المصاحب وذلك عندما يترك الشخصية؛ لتعبر عن نفسها، وذلك في "حديث النفس، وقد تكرر في القصة عدة مرات وقد قمت بتحليله قبل ذلك فلا داعي للحديث عنه الآن .

(١)مجلة أبولو المجلد الأول ص ٨٩٤.

ويظهر السارد العليم ليعلق علىٰ الأحداث بعين البصير الذي يدرك حقائقها وذلك في استخدام ضمير الغائب في قوله :"رجع السارق ، ومضىٰ عما أتىٰ ، وغادر لكنه ما غدر ".

وقد يترك السارد "يحيىٰ" ؛ليعبر بضمير المتكلم نادما علىٰ السرقة من زرع أخيه وموبخا نفسه علىٰ هذا الجرم الذي عزم عليه وذلك في قوله :

أأخي أجزيه من نفسي بضر بئس من يحمل حقدا أو غدر

وبهذا استطاع السارد أن يقدم شخصية يحيىٰ، ويصفها وصفا داخليا وخارجيا خلال هذا اللوم الذي وجهه يحيىٰ لنفسه رافضا كل شر حاول أن يسعىٰ إليه "ويستطيع الروائي توظيف ما شاء من الضمائر وفق الكيفية التي يراها تناسب مقام السرد إضافة إلىٰ ملكته الروائية في إتقان تنويع الضمائر وقت الحاجة إلىٰ ذلك "[1]

وقد أجاد السارد في توظيف الضمائر وخطا خطوات في تنويع السرد بين ضمير الغائب والمنولوج الداخلي " وضمير المتكلم يجعل المتلقي يلتصق بالعمل السردي ويتعلق به أكثر :متوهما أن المؤلف فعلا هو إحدىٰ الشخصيات التي تنهض عليها الرواية فكأن السرد بهذا الضمير يلغي دور المؤلف بالقياس إلىٰ المتلقي الذي لا يحس أو لا يكاد يحس بوجوده بينما المتلقي لا يحمل الإحساس نفسه حين كان الأمر متمحضا للسرد بضمير الغائب الذي يمكن المؤلف من الظهور والبروز وأنه يعرف كل شيء عن شريط السرد المكتوب فهو

(١)الراوي والشخصية في ثلاثية أحلام مسغانمي "ذاكرة الجسد ، فوضىٰ الحواس ، عابر سرير" أطروحة (دكتوراه)إعداد الطالبة / أخضري نجاة ط سنة٢٠١٦/ ٢٠١٧م ص ٦٠

المتحكم وهو المنشط"[1] وقد يستطرد السارد في التعليق علىٰ الأحداث ولو قمنا بحذف هذا الاستطراد لم تتغير أحداث القصة وذلك في قوله :

هكـــذا الأيـــام والـــدنيا إذا مـــا هيـــأت للمـــرء أســـباب النجـــاح

لا يـرىٰ الإنسـان في الـدنيا ظلامـا بـل يـرىٰ الليـل مضـيئا كالمصـباح

ويأتي النصح من السارد في صورة النهي في قوله :"لا ترع من قسوة الدنيا ، والأمر في قوله :واتخذ للخير فيها سبلا " ثم النهي في قوله :"لا تظن الخير فيها مستحيلا " والأمر في قوله :" وانهب العمر " وهذا التدخل من السارد في تقديم هذه المواعظ يعد تمهيدا لمن يخوض في غمار الحياة حتىٰ لا يجزع من الدنيا ويصبر علىٰ أذاها، ويقبلها بخيرها وشرها. وفي ذلك يقول:

لا تـــرع مـــن قســـوة الـــدنيا ولا تمـــلء الـــدنيا بكـــاء وعـــويلا

واتخـــذ للخيـــر فيهـــا ســـبلا لا تظـــن الخيـــر فيهـــا مســـتحيلا

وانهـــب العمـــر إذا مـــا أقـــبلا نحـــوك الحـــظ ولـــو كـــان ضـــئيلا

فـــرص ضـــيعها مـــن غفـــلا لـــم تجـــد إن أفلتـــت عنهـــا بـــديلا

لا تكـــــــن فيهـــــــذه الـــــــدنيا خمـــــــولا

واتخـــــــذ فيهـــــــا إلـــــــىٰ الـــــــنجح ســـــــبيلا[2]

والكلام السابق من السارد يعد استباقا لمجريات الأحداث ،وتلخيصا للحالة التي كان يعيش فيها يحيي ،وأرىٰ أن سرد القصة من بدايتها إلىٰ نهايتها سيؤكد هذه الحقيقة التي عرضها السارد في صورة مواعظ جاءت في أسلوب الأمر والنهي .

(١)في نظرية الرواية عبد الملك مرتاض ص ١٨٤ .

(٢)مجلة أبولو المجلد الأول ص ١١٠٧ .

ويصف السارد يحيىٰ بالحمق، والجشع والعناد، وعدم الالتزام بنصح الناصحين والغرور وعدم الاستفادة من التجارب التي مر بها، وذلك في قوله :

و تمادت نفس يحيي في العناد خيم الحمق عليها و الجشع
نسىٰ النصح فما أصغي لهادي و تجلت فيه آيات الطمع
طمع لم ينم في جو السداد و غرور بهوىٰ النفس اندفع
و الذي يبرح في غير اقتصاد من أمانيه بما يخشىٰ صرع[1]

ويظل السارد العليم متابعا سير الأحداث في القصة حتىٰ تنتهي نهاية مفجعة بهلاك يحيىٰ علي يد الأسد و يسدل الستار بكلام السارد الذي لخص ما دار في القصة في قوله :

و انتهىٰ يحيي من الدنيا و لم يجن من رحلته إلا العدم
ما محا المكتوب في لوح القدم لا، و لا غير ما خط القلم
هكذا الدنيا حظوظ و قسم كل حي حظه فيها رسم
خاطئ من يغتدي فيها بهم و غبي من تمادىٰ في الألم
و حكيم الناس فيها من علم
أنها كانت و لا زالت قسم!

مما سبق ندرك أن الراوي في هذه القصة جمع بين الراوي العليم و الرؤية مع ،وأن (المنولوج الداخلي) حديث النفس ورد في أكثر من موضع من القصة؛ ليعبر عن فكر البطل ونوازع نفسه، وأن السارد العليم كان يستبق الأحداث، ويلخص ما ستؤول إليه عبر إشارات قليلة، ولكنها تفي بالتعبير عن

(١)مجلة أبولو ص ١١١٢

الغرض الذي سيقت من أجله، وأن السارد كان يعلق علي بعض الأحداث بصورة خطابية كان عليه أن ينأىٰ عنها، ويتركنا نعيش مع أحداث القصة، وكنا سنظفر بنفس النتيجة التي بثها لنا في قالب وعظي، ولكننا لو عدنا إلي الزمن الذي كتبت فيه هذه القصة من السارد لالتمسنا له العذر في ذلك .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين. وبعد

❖ فالشاعر عثمان حلمي يعد رائدا من رواد القصة الشعرية في العصر الحديث فقد كتب قصة البخت النائم عام ١٩٣٢م ونشرها في ثلاثة أعداد من مجلة أبولو.

❖ المنهج السردي يدرس القصة من ثلاث زوايا وهي الراوي والقصة والمروي له.

❖ وضعت أصول المنهج السردي في الغرب ولكن النقاد العرب القدامىٰ كانت لهم إشارات حول بنية السرد؛ ولكنها لم تجد من يعيرها نظره ويضيف إليها ليستكمل بناء نظرية عربية سردية .

❖ استطاع عثمان حلمي أن يستخدم التقنيات السردية التي أشار إليها علماء السرد في دراسة الزمن ، وهي الاستباق التمهيدي، والاستباق كإعلان ، وعنصر الخلاصة ،والحذف وفيه يكون زمن السرد أقل من زمن الحكاية وقد وفق في ذلك.

❖ شكل المكان عنصرا فاعلا في مجريات الأحداث في القصة ؛لأنه يكشف عن حياة الشخصية النفسية ،ويلمح إلىٰ أسباب أفراحها وأتراحها ، وقد حرص الشاعر علىٰ تصوير المكان ؛لأنه يدفع بالأحداث إلىٰ النمو .

❖ استطاع الشاعر أن يصور شخصيات القصة تصويرا ينم عن وعيه بوصف الشخصية من الداخل ، ومن الخارج ،وأن يدع الشخصية لتعبر عن نفسها دون تدخل، وذلك من خلال (المنولوج الداخلي)حديث النفس الذي تكرر في

جنبات القصة .من الفروق الجوهرية بين السرد في عالم القصة والسرد في الشعر أن النص الشعري ينفرد باللغة الفنية ،والإيقاع الموسيقي ،والأساليب التصويرية.

❖ تعد شخصية "يحيي" التي قدمها الشاعر من الشخصيات الإنسانية التي تصلح أن تكون نموذجا يتكرر عبر الزمان و المكان ؛لأنه يدور في فلك مشكلة خاضتها البشرية منذ القدم، وهي السعادة والشقاء، والحظ اليقظ، والحظ العاثر، والقضاء والقدر، وستظل هذه المشكلة تؤرق البشرية إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها. كانت الأحداث في القصة مترابطة ومتسلسلة ومنسجمة مع الحدث الرئيس في القصة وقائمة علي علاقة الحافز .

❖ جاءت الحبكة في القصة متوازية مع الحدث حتي وصلت إلي قمة التأزم، والخيط الذي يجمع بين الأحداث كان خيطا قويا أجاد الشاعر إحكامه حتي وصلنا إلي نهاية القصة فأدركنا أن المشكلة لم تكن تكمن في حظ يحيي، وإنما في يحيي نفسه، فقد فرط في العديد من الفرص التي قدمت إليه، ولم يغتنم واحدة منها .

❖ لجأ الشاعر إلي الوصف ؛ليفسر بعض الأحداث، وليشير إلي حياة الشخصية النفسية، وليعكس أثر الزمان والمكان في حياة الشخصية، وليقطع تسلسل الحدث حتي يؤدي إلي التشويق والتوتر لدىٰ القارئ الذي يتابع القصة .

❖ استطاع الشاعر من خلال الحوار أن يكشف عن خبيئة المتحاورين النفسية ، وقد استطرد الشاعر أحيانا في بعضها دون أن يقدم جديدا.

فهرس المصادر و المراجع

أركان القصة تأليف ا.م .فورستر ترجمة كمال عياد جاد وحسن محمود ط دار الكرنك سنة ١٩٦٠م ص ١٠٥.

أصول الأنواع الأدبية د /محمد أحمد العزب ط دار والي الإسلامية للنشر والتوزيع .

أعلام من الإسكندرية تأليف نقولا يوسف ج٢ ط الهيئة العامة لقصور الثقافة نوفمبر ٢٠٠١ .

آليات السرد في الشعر العربي المعاصر د / عبد الناصر هلال ط مركز الحضارة العربية ط الأولىٰ سنة ٢٠٠٦م .

بلاغة الخطاب وعلم النص د صلاح فضل ط عالم المعرفة سنة ١٩٩٢م.

بناء الرواية د سيزا قاسم ط مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٤م .

البنية السردية في شعر شوقي للأطفال (رسالة ماجستير) إعداد عبدالله أديب إشراف أ. د/ محمد كاظم حسن الظواهري سنة ٢٠١٧م.

البنية السردية والخطاب السردي في الرواية سحر شبيب ط مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها السنة الرابعة العدد الرابع عشر.

بنية الشكل الروائي تأليف حسن بحراوي ط المركز الثقافي العربي ط الأولىٰ سنة ١٩٩٠م .

بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي د / حميد الحميداني ط المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع ط الأولىٰ :آب ١٩٩٩م .

تحليل النص السردي محمد بو عزة ط الأولىٰ سنة ١٤٣١هـ ٢٠١٠م .

جماليات القصيدة المعاصرة د/ طه وادي ط الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ط الأولىٰ سنة ٢٠٠٠م.

الحكاية وما فيها :السرد(مبادئ وأسرار وتمارين)تأليف محمد عبد النبي ط مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ط الأولىٰ سنة ٢٠١٧م .

خطاب الحكاية (بحث في المنهج جيرار جيت) ترجمة محمد معتصم ،عبد الجليل الأزدي ،عمر حلي ط المجلس الأعلىٰ للثقافة ط الثانية ١٩٩٧م.

دليل الناقد الأدبي ميجان الرويلي وسعد الباز ط المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب سنة ٢٠٠٢ م .

الراوي والشخصية في ثلاثية أحلام مستغانمي "ذاكرة الجسد ، فوضىٰ الحواس ، عابر سرير" أطروحة (دكتوراه)إعداد الطالبة / أخضري نجاة سن ٢٠١٦/ ٢٠١٧م .

الزمن في الرواية العربية [١٩٦٠ـ ٢٠٠٠م] إعداد مها حسن يوسف عوض الله إشراف محمود السمرة أطروحة (دكتوراه)الجامعة الأردنية ٢٠٠٢م.

طرائق تحليل السرد الأدبي منشورات اتحاد كتاب المغرب ط الأولىٰ سنة ١٩٩٢م

العمدة لابن رشيق القيرواني ت محمد محيي الدين عبد الحميد ط دار الجيل ج١.

عيار الشعر لابن طباطبا العلوي ت عبد الستار عباس ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

فن القصة تأليف الدكتور محمد يوسف نجم ط دار بيروت للطباعة والنشر ببيروت سنة ١٩٥٥م .

في نظرية الراوية د/ عبدالملك مرتاض ط عالم المعرفة سنة ١٩٩٨ .

قاموس السرديات تأليف جيرالد برنس ترجمة السيد إمام ط. الأولي ٢٠٠٣م .
القصة الشعرية في العصر الحديث عزيزة مريدن ط دار الفكر دمشق سوريا ط الأولىٰ سنة ١٩٨٤م .
مجلة أبولو المجلد الأول محمد أبو العز ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٩م .
المصطلح السردي (معجم مصطلحات) تأليف جيرالد برنس ترجمة عابد خزندار مراجعة و تقديم محمد بربري ط المجلس الأعلىٰ للثقافة سنة ٢٠٠٣م ط الأولي .
المعجم الأدبي تأليف جابر عبد النور ط . دار العلم للملايين ط. الأولي سنة ١٩٧٩م.
معجم المصطلحات الأدبية د/ سعيد علوش ط دار الكتاب اللبناني بيروت ط الأولىٰ ١٤٠٥هـ ١٩٨٥ .
معجم مصطلحات نقد الرواية د/ لطيف زيتوني مكتبة لبنان ناشرون دار النهار للنشر.
المكان في رواية زينب الواقع والدلالات د/ حسني محمود مجلة الموقف الأدبي منشورات اتحاد الكتاب العرب عدد ٣٤٣ سنة ١٩٩٩م .
مورفلوجيا القصة فلاديمير بروب ترجمة د/ عبد الكريم حسن د/ سميرة بن عمو ط الأولىٰ سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .